المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب

إشكالية التعددية اللغوية

إعداد

عز الدين المناصرة



الفصــل الأول

العرب الأمازيغ
من أصول كنعانية

[أطروحة علي فهمي خشيم]

(الأمازيغ) تعبير يطلق على فريق من أهل الشمال الأفريقي الذين يدعون (البربر)، أما (العرب) فهو مصطلح سجل لأول مرة على الألواح الأكادية في (صور) على النحو التالي : [أريبي، أروبو، أربي، أربي، أرابي، أرابو، أريبو، أرابايا)، في القرن الثامن قبل الميلاد، وهو يعني : أهل البداوة أو الصحراء أي البادون الظاهرون. هذا ما يقوله علي فهمي خشيم (المفكر الليبي) في مجلد كتابه (لسان العرب الأمازيغ) ومجلد كتابه الآخر (سفر العرب الأمازيغ) حيث يؤكد أن العرب الأمازيغ في أفريقيا الشمالية من أصول كنعانية. وهي نفس أطروحة ابن خلدون في كتاب التاريخ. لكن الفارق هو أن أطروحة ابن خلدون مشوشة ومضطربة ومختلطة بالأساطير والثقافة الشعبية، بينما نجد أطروحة علي فهمي خشيم، أطروحة رصينة تعتمد التحليل والمقارنة اللغوية والتاريخية والحجرية. لقد نشأت (الحضارة الكنعانية) في فلسطين وسوريا ولبنان الأردن (بلاد الشام) لكن مركز نواتها كان فلسطين. لقد بدأ اهتمامي بهذه الحضارة، منذ منتصف الستينات من زاوية (شعرية). ثم تطور اهتمامي بها من الزاوية الفكرية، حتى أصبح بعض من يخالفونني الرأي في السبعينات في بيروت وفي ظل الثورة الفلسطينية يصفونني بالشاعر الكنعاني من باب المزاح السلبي. لكن هؤلاء عادوا بعد عام 1982 الى الاعتراف بها. لقد طرحت فكرة بسيطة : لماذا تطرح التيارات الفكرية العربية (فكرة الكنعنة) من زاوية سلبية وهي التناقض مع العروبة والإسلام، ولماذا لا تطرح من زاوية [التكامل مع العروبة والإسلام] وإذا كان الشاعر اللبناني سعيد عقل قد طرح (فكرة الفنيقية) من زاوية انعزالية ضيقة ذات صبغة إقليمية وربطها بالحرف اللاتيني، فقد طرحت (الكنعنة) وهي تشمل الفنيقية والبونيقية والأمازيغية، من زاوية عروبتها وعالميتها لان الحضارة الكنعانية وصلت الى شتى بلدان العالم ولأنها

مبدعة أول أبجدية في العالم. وكما هو معروف فإن اللغة الكنعانية وهي اللغة الأولى تفرعت منها اللغات : الآرامية والنبطية (التي كتب بها القرآن الكريم) والسريانية والعبرانية. وعندما عشت في (تونس والجزائر - 1982 - 1991)، ازداد إيماني بأطروحة ابن خلدون بأن أصل الأمازيغ (البربر) هو عربي كنعاني. وقد جاهرت بهذه الأطروحة مما تسبب لي ببعض الأذى. ففي سكيكدا الجزائرية، جبل يدعى (سطوراً : شتورا : عشتار)، بل إن اسم المدينة القديم هو (روسيكادا) وهو يعني بالكنعانية (الرأس الوقاد)، أما مدينة عنابة (بونة) وهو اسم كنعاني بونيقي، ففيها جبل عال يطل على البحر واسمه حتى يومنا هذا (رأس الكرمل)، وهناك الاف الظواهر التي تدل على (كنعانية الجزائر)، أما تونس وليبيا والمغرب فلا خلاف على كنعانيتها*.

والسؤال هو : لماذا أطروحة الدكتور خشيم، وما هي الإشكالية التي تحاول الإجابة عنها؟؟

إن قراءة التاريخ القديم تحتاج الى قدرة شخصية على (الاستبصار) والسبب هو غياب الوثائق اللغوية والتاريخية والثقافية والحجرية غياباً شبه تام. إن خطر معالجة المسألة الأمازيغية هي التي تنطلق من (غرائز إديولوجية مسبقة). وهناك في واقع الأمر عدة قراءات أو معالجات بعضها خطير وبعضها معقول وهي :

التيار الأول :

عروبي ديمقراطي، يرى أن الأمازيغ (البربر) هم عرب هاجروا من فلسطين إلى افريقيا الشمالية بعد هزيمة (جالوت الفلسطيني). واللغة الأمازيغية هي إحد فروع اللغة الكنعانية القرطاجية. ويرى هذا التيار أن اللغة العربية هي الموحدة للأقطار المغاربية، ويمكن تدريس الأمازيغية

بصفتها لغة ثقافية قديمة في الأقسام المتخصصة في الجامعات، وفي المدارس كلغة وطنية ثانية على أن تكتب بالحروف العربية أو تحتفظ بشكلها الأصلي بعيداً عن محاولات ربط الأمازيغية باللاتينية لأنها محاولات مفتعلة.

التيــار الثانــي :

عروبي دكتاتوري، يوجه تهمة (*الخيانة العظمى*)، للعرب الأمازيغ وتهمة التبعية لفرنسا، ويرفض هذا التيار خصوصية الثقافة الأمازيغية ضمن مفهوم وحدة المغرب العربي الكبير. دون معالجة للمشكلة، والغريب أن هذا التيار لايعترف أصلاً بوجود مشكلة.!!!

التيــار الثالــث :

تيار أمازيغي ديمقراطي يؤمن بالإسلام والعروبة كعنصرين هامين من عناصر الشخصية البربرية. لكنهم يقترحون هامشاً من الحرية للتعبير عن هذه الخصوصية الأمازيغية في إطار التعددية الثقافية ضمن وحدة المغرب العربي الكبير. ويؤمنون باللغة العربية كلغة موحدة ورسمية وقانونية.

التيــار الرابــع :

تيار أمازيغي *غرائزي*، يؤمن بالنزعة الأمازيغية التي تعني جعل الأمازيغية لغة موازية للغة العربية الرسمية. وهم يقولون أنهم أصحاب الأرض الأصليين وأن العرب كانوا (غزاة) وأن جذور اللغة الأمازيغية مرتبطة باللغة اللاتينية. ويقود هذا التيار عملية كتابة اللغة الأمازيغية بحروف لاتينية بتشجيع فرنسي واضح ومفهوم.

* * *

لقد سبقت جهود الدكتور علي فهمي خشيم جهود أخرى منها على سبيل المثال جهود المغربي محمد شفيق، مؤلف (المعجم العربي - الأمازيغي، الصادر عام 1998) ومؤلف (أربعة وأربعون درساً في اللغة الأمازيغية، 1991) ويصفهما خشيم بأنهما أهم ما صدر بالعربية عن اللغة الأمازيغية. لكن علي فهمي خشيم يبذل جهداً زائداً عن حده في دحض بعض أفكار محمد شفيق، فيخصص فصلاً كاملاً لمناقشة مقدمة معجم شفيق. فمثلاً يناقش معنى (أوال أمازيغ) مناقشة لغوية مقارنة بردها الى المكافىء العربي (أول منه التأويل)، حيث جاء في كتاب (وصف أفريقيا) للحسن بن الوزان (المعروف باسم ليون الافريقي، توفي سنة 1550) أن لغة البربر في عهده، كانت تدعى (أقوال أمازيغ)، أما العرب فيسمونها البربرية. ويرى أن (قول أمازيغ) أبدلت القاف فيها همزة فكانت (أقوال أمازيغ). ثم يناقش المؤلف كلمة (أمازيغ) حيث يرى البعض أن جذرها (مزغ) بمعنى أغار وغزا، ويمكن ملاحظة أن (يوزغ) عند التوارق هي مقلوب العربية (يغزو)، كما يرى البعض. لكن خشيم يرى أن جذرها (مزغ) وهي تكافىء (مشك، مسك) صوتياً.

وفي النصوص اليمنية القديمة (مسك) في لقب (بعل مسكت) بمعنى : رسخ، تمسك.، وفي العربية : المسك هو الجلد والقوة. وبهذا يمكن القول بأن (**أمازيغ**) تعادل (أماسيك) أي : **الصبور المتماسك القوى الشجاع**. ثم يأخذ المؤلف كلمة (تسرت) الأمازيغية التي معناها مفتاح الباب ويجدها في العربية في مادة (سرر) : أخفى الشيء، كتمه أي أن الدلالة واحدة فجذره الأمازيغي (سر) الذي يسبق ويلحق بتاء التأنيث (تسرت) وصار (تاساروت) نطقاً وفي عامية أهل المغرب (ساروت). ولتأكيد تحليله يقارنها مع معنى كلمة مفتاح في اللغات الأخرى ففي اللغة الإنجليزية (Key) وفي اللاتينية (Clavis) وفي اليونانية (Klai) الذي أخذته

من الكنعانية (كلات = قبضة اليد المقفلة) و (كلي = أنهى، ختم) و (كلت = التمام، الكلية). وينقل عن محمد شفيق معاني **أسماء بعض المدن المغربية مثل** (اغادير = الجرف، **الحائط/آسفي = الزيتون/أزرو = الصخرة/إفران = المغاور/ايموازر = الشلالات/تاوريرت = الجبيل/مكناس = الشرس/اكلميم = البحيرة، المستنقع/سايس = السهل/تاسامان = محاذية الماء/تافيلات = الجرة/تلمسان = جمع مفردة تالمست = عُـيينة الماء/تاتزرفت – الفلاة. البيداء/تاكانت = الغابة**). وعندما كنت أعيش في مدينة تلمسان الجزائرية، كنت أسأل الناس عن أصل التسمية يقولون : ان اصلها، (تلُّ ماء سال) وهو معنى ليس ببعيد عن المعنى الأمازيغي (العيون). أما كلمة (باتوس) فهي كنعانية وهي في المصرية القديمة (بت) بمعنى ملك، أما في الأمازيغية فكلمة **(تانباط) فهي تعني السلطة**، ومعنى ذلك أن حضارة الأنباط وهي عربية كنعانية تعني (حضارة الملوك). ثم ينقل الدكتور خشيم عن محمد شفيق (إحدى وخمسين لفظة مشتركة بين العربية والأمازيغية).

لكن خشيم يناقشها كلمة كلمة ويصحح اشتقاقاتها فمثلاً كلمة (افرو = طار) في العربية (فر) وكلمة (أختار) الأمازيغية هي من التركية (إهتيار) وفي الدارجة الشامية (ختيار) وكلمة (أمغار) الأمازيغية فالغين فيها مبدلة من القاف (أمقار) بمعنى : المرأة العجوز، أما (أمقار) فهي من (إقر) الكنعانية وعربيتها (وقر) ومنها (الموقر) تطلق على الرجل العجوز احتراماً... الخ ولكن لا أعرف لماذا لم يتأمل الدكتور خشيم لدى تحليله اللغوي لكلمة (أمازيغ = مازيغ = مزغ)، كلمات (زاغ، يزوغ، زوغانا، مزواغ) العربية والتي نقولها في اللهجة الفلسطينية (فلان مزوّغ) أي غائب وهي تأتي بمعنى (المراوغة في الحرب والاختفاء الذكي عن الأنظار)!!!.

ثم يحلل المؤلف كلمة **(اجرومية) الامازيغية**، حيث اشتهرت منذ أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي الفارسي صاحب كتاب الأجرومية بمعنى **(قواعد النحو)** وجذرها في العربية والبربرية (جرم) بمعنى (نزع، سلب، جرد)، وهي (ذو أجروم) بمعنى صاحب القواعد ويربط بين (الأجرومية) وكلمة grammar الإنجليزية ومشتقاتها في اللغات الغربية. ويتعرض لاختلاف اللهجات الأمازيغية (الريفية والأطلسية والسوسية والتارقية والشاوية والجبلية والزواوية والنفوسية والسوسيَّة والأوجلية) وغيرها وهو يرى أن اختلاف اللهجات أمر طبيعي. ويناقش قواعد النحو الأمازيغي ليثبت تقاربه وصلته بقواعد النحو العربي. ثم يورد فصلاً هاماً بعنوان (كتاب الحجر). حيث تعرض لمصطلحات (بونيا – بونه – **بونيقيا**) ويرى أن الأوروبيين أرادوا تميز التاريخ الكنعاني في الشمال الأفريقي عن (الوطن الأم) في أرض كنعان (فلسطين وسوريا ولبنان والأردن)، لكنه يرى أن الأصل فيها هو **(بنو كنعان – بنوكع)**، ثم سقطت العين وحذفت النون المكررة فكانت **(بنوك)**، مع إبدال الباء المفردة باءً مهموسة (P) والكاف خاءً (بنخ)، وهذه الخاء هي التي صارت تنطق في اللغات الأوروبية (x) وحولت في العربية إلى قاف **(فنق)** ومنها الترجمة الخاطئة **(فينيقيا)** ولا صحة لما يروى أن تسمية فنيقيا تعني اللون الأحمر الأرجواني أو النخلة في اليونانية. فالنقوش (البونيقية) مكتوبة بلهجة قرطاجة الكنعانية العربية. ثم يبدأ المؤلف بمناقشة لغوية موسعة لتلك النقوش، وهي خمسة عشر نقشاً.

ثم ينتقل لمناقشة بعض أسماء الأعلام، ويحلل اسم (شيشنق) الذي ورد في التوراة (شيشق) فيربطه باسم مدينة (سوسة) أي (شوشا = شش) التي عرفت في المصادر اللاتينية باسم (حضرموت) محرفة عن الكنعانية حضر/ماتو)، حتى يصل إلى المعنى (الحاكم) = شش =

شِشق. كما يتعرض لبعض أسماء الأماكن (ادرار = الجبل) – (**انيل = النيل = الأزرق الداكن**) – (سلا = الصخر) – (**السنغال** = جنوب النهر) – (**تازة** = جاءت من لفظة تيزي = الصخرة) وفي العربية (مادة تيز معنى الغلظة والشدة) – (**تيندوف** = مركز الحراسة = بمعنى معادل كلمة **الضيف العربية**) – (**فاس** = النهر = مقلوب ساف). كذلك نجد الضمير (أنا) وهو في الكنعانية (انك)، كذلك في التارقية الأمازيغية (نك) وفي الشلحية (السوسية) الأمازيغية) نش). كما نجد كلمة (أيو – الايوان، القصر = إغرم وجذرها غرم)، فالغين المعجمة مبدلة من الكاف فهي (كرم) وهي تقابل (كرم) العربية، كما نجد المقطع كرم في اسم شهير في فلسطين كرمل) تعني (بستان معشوشب وفيه شجر) مع إضافة (إيل = الله) وبالتالي فهي أقرب الى معنى (كرم الله) وليس (حصن الله) كما قال خشيم. ولا أعتقد أن (حي الكرم) في تونس – وقد عشت فيه عام 1983 – يعني الحصن وانما يعني (كرم العنب والتين والزيتون) وغيرهما. لكن الدكتور خشيم يضيف ان كلمة (كرملين) القصر الروسي في موسكو، قد جاءت من تحريف كلمة (كرمل = كرم ايل) – Kremel.

ويرى أن **كلمة برّ الامازيغية** (أفارو) **تعادل كلمة** (غور = هور = **خور = منخفض البحر الميت**). لكنه يرى ان كلمة (البرتغال = اسم البلد المعروف في شبه جزيرة ايبريا) جاءت من كلمة برتقال العربية، وبتقديري إن الدكتور خشيم تناسى الرأي الآخر وهو (بورت – كالية). ويرى ان **كلمة** (أيت) التي تكثر في بعض الأسماء (حسين أيت أحمد مثلاً) وهي تعني (بني) عند محمد شفيق، لكن خشيم يرى إنها معادلة للكلمة (عيت) وهي تساوي (عيلت = عائلة) وهي أي (أيت) تعادل (آل فلان) بالعربية.

* * *

سكن القـرطاجـيـون (تونس) والموريون (المغـرب ومـوريتـانيـا) والنوميـديون (الجزائر) والليـبيون (ليـبيـا)، وارتبطوا باسم (أفـريقيـا)، فـالبعض يرى إنها كلمة كنعانيـة (أفري) انتقلت الى اللاتينية في صور متـعددة. والبعض يشـير إلى قـبيلة أفرى ويرى زربو أن من بين سبـعة تفسـيرات لكلمـة افريقـيا (من الفنيقـية = فـريكيا) بمعنى« كوز الذرة أو (أرض الغـلال)، والقـمـح المشـوي فـي بلاد الشـام يسـمى (فـريكة)، لكن الدكتور خشيم يرفض هذا التفسير. لكنه يأخذ بجدية تفسـيرين آخرين : أحدهما للقائد اليمني (**افريقش**) واسم قبيلة أمازيغية تدعى (**اوريغا**). فيرى أن المصـادر العربيـة ذكرت (أفـريقش) حيث يقـول الهـمداني في (الاكليل) أن أفريقش أرسل رجلاً من اليمن يدعى (**كنيع بن زيد**) **لغزو افريقيا**، أما ابن خلدون فقد ذكر أن أفريقش (سـاق البربر الى أفـريقية من أرض كنعـان) ويتـردد اسم (جـالوت الفلسطيني) الذي صـارع العبرانيين. وهنا نقارن اسم (جالوت) مع (جلث) الأمازيغية. وبعد هزيمة جالوت في فلسطين هاجر قومه الى شمال أفريقيا. وأسسـوا في فترات قرطاجة ولبدة وصبراته وأويا.

وبطريقة ما يربط ابن خلدون بين الهجرة اليمنية والهجرات الكنعانية إلى أفـريقيـا، وكأن اسم (كنيع ابن زيد) إشـارة إلى (كنعـان)، ولكي يبرر ابن خلدون الربط بين اليمن وأرض كنعان، جعل إفريقش اليمني يسـافر إلى أرض كنعان ثم يسوق الكنعانيين(البربر) إلى شمـال أفـريقيـا. وفعل (كنع) بالكنعانية يعني سكان المنخفضات، بينما يرى علي فـهمي خشيم أن معنى (افر) هو (الحارة) والأرجح - كما يقول - أن التسـمية قديمة، لعلهـا كنعـانية نقلها الرومـان والجذر (ف ر) وفي البـربرية (أفـرنو) وفي العربيـة (فـرن) و(فور : من الغليـان). **وهذا يعنـي أن كلمـة أفـريقـيـا تعني (الأرض الحارة)**.

ويتطرق الدكتور خشيم لكلمة (هوجار) و(هُوارة). حيث رأى البعض أن مشتقاتها هي (حجار، مجير، احجار) من الحجر. ويرى ابن خلدون ان بلاد شمال أفريقيا تدعى بلاد (هقارة) ويرى سالم شاكر أن هذه الكلمة منقلبة عن كلمة (هوارة) وأن قبيلة هوارة سكنت طرابلس وبرقة. لكن خشيم يقرر أن (هوارة) هي الاسم الأصلي لمن عرفهم الرومان باسم (أفري) وهم أحد فروع قبائل الهوارة. لكن سرعان ما يتدارك المؤلف الأمر بربط (الهكسوس الكنعانيون) مع (قبائل الهوارة). وينتقد الدكتور خشيم كتاب التاريخ المصري القديم الذين شوهوا صورة **الهكسوس** بوصفهم (الملوك الرعاة). وحقيقة الأمر انهم **(ملوك الخيول) أو (ملوك العربات)**، حيث أدخلوا (العربات الحربية) لأول مرة إلى مصر عندما غزوها. وقال البعض أن الهكسوس (كنعانيون) أو (فلسطينيون) أو (بابليون) لكن (تاريخ مانيثون) يرى أن (البعض يقول انهم كانوا عرباً). والجذر (س س) يعني في المصرية القديمة (الحصان). ومن المسلم به تاريخياً أن وادي النيل لم يعرف أهلها استخدام الحصان قبل هجرة الهكسوس اليها. وهم الذين جاءوا باستخدام عربات القتال في الحرب لهذا يرى خشيم أن الترجمة الصحيحة هي (ملوك الخيل). ويذكر ابن خلدون ان البربر جاءوا من فلسطين (فلما وصلوا مصر منعهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل وانتشروا في البلاد) ويضيف ابن خلدون (والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنّهم من ولد كنعان بن حام بن نوح وان اسم أبيهم مازيغ وإخوانهم بنو كسلوحيم بن مصرائيم بن حام). ثم ينتقل الى هوارة، فيرى ابن خلدون أن قبيلة هوارة تنتمي إلى (السكاسك)، لكن علي فهمي خشيم يطرح سؤلاً استبصارياً :
ما الذي يمنع أن تكون السكاسك التي انتسبت اليها هوارة ذاتها تحريفاً عربياً لليونانية (هكسوس) التي كانت تحريفاً بدورها عن المصرية القديمة (ح ق. س س).؟؟. فالمراجع تتحدث عن ان الهكسوس استقروا في شمال وادي النيل وكانت عاصمتهم (أور = مدينة) في شرق الدلتا (تل

البسطة/صان الحجر/تانيس). ومعلوم أن الهاء تقلب في اليونانية الى همزة، فالأصل إذن هو (هور = أور) وهي عاصمة الهكسوس في مصر، حيث استمر حكمهم خمسمائة سنة.

يقول الدكتور خشيم (ضع كلمة هكسوس بدلاً من حام، ولا تنس أن الهكسوس كنعانيون وان كنعان هو ابن حام أو بدلاً من البربر الذين قدموا من فلسطين تجد الصورة متطابقة) ثم يضيف بأن الهكسوس (أهل مدينة هور = هوار = هوارة) غادروا بعد سقوط عاصمتهم فمنهم من غرب ومنهم من شرق ومنهم من اندمج مع مصر. فالذين غرّبوا هم قبيلة هوارة (البربرية). وهناك رواية يوسفوس عن رحيل ربع مليون من الهكسوس شرقاً حيث غادروا مصر بعد معاهدة صلح مع الفرعون (احمس) الى بلاد الشام، حيث بنوا (اورسالم = القدس). ثم يتحدث علي فهمي خشيم عن لغة (الكوانش). في جزر الخالدات أي (جزر الكناري) فيقول : في سنة 1868 عثر على الصخور المحيطة بـ (لاس بالماس) في جزر الكناري على نقوش كنعانية وعلى ستة أعمدة حجرية طويلة كانت بمثابة ابراج إشارة للسفن التي تدخل مرفأ (لاس بالماس). وقد نشأ عن هذا الاكتشاف القول بأن أصل الكانش يرجع إلى الكنعانيين، كما أورد كولونيل براكن في كتابه سنة 1940 مدعماً هذا القول بشبه رموز الهجاء الكوانشية برموز الهجائية الكنعانية.

يبقى أن نشير إلى أهمية (سفر العرب الأمازيغ) و(لسان العرب الأمازيغ) من زاوية جهد المقارنة اللغوية التي تترك الاحتمالات مفتوحة، لكنها تحقق فتحاً حقيقياً علمياً في مجال موضوع (عروبة اللغة الأمازيغية وعروبة البربر) دون افتعال، مع تحفظنا أحياناً على بعض أساليب (التجسير اللغوي) خلال عملية المقارنة.

* هامش

– في الفترة اكتوبر 1987 – تموز 1991. عندما كنت اعمل استاذاً في (جامعة تلمسان – معهد الثقافات الشعبية لطلبة الماجستير). آنذاك كان استاذ اللغة الأمازيغية، يحضر اسبوعياً بالطائرة من الجزائر العاصمة ليلقي محاضراته على الطلبة. وبما أنني كنت (الأجنبي الوحيد) فقد استدعاني المدير (العميد)، وطلب مني أن يبقى امر استاذ الأمازيغية (سراً من اسرار الجامعة).

كان هذا عام 1989، وعندما أصبح الأمر علنياً عام 1991. استدعاني العميد ليستشيرني في مشكلة واجهته مع بعض الطلبة البربر. بناءً على طلب من وزير التعليم العالي – كما قال – الذي طلب منه استشارتي في المشكلة، وهي : هل يكتب الطلبة اطروحاتهم للماجستير بالعربية أم الفرنسية أم الأمازيغية؟؟. فغضبت وقلت له : طبعاً بالعربية، لأنها اللغة التي توحد الوطن الجزائري. لكنني دافعت عن حق الطلبة في اختيار موضوعاتهم، في مجال الثقافة الشعبية البربرية، بل يجب تشجيعهم على ذلك إذا رغبوا، وهذا لم يكن يعجب بعض زملائي من الأساتذة الجزائريين. وبالفعل التزم العميد والمجلس العلمي بوجهة نظري، لكن العميد استدعاني ذات مرة 1990/1/14 ليطلب مني إدارة ندوة ثقافية لرئيس جمعية ثقافية في وهران تدافع عن اللغة الأمازيغية. شرح المحاضر الجوانب التاريخية ثم بدأ برسم الحروف الأمازيغية على اللوح أمام الطلبة، ثم بدأ يقارنها بالحروف اللاتينية. وكان كلما رسم حرفاً، يكرر الجملة التالية (إذا عوجنا هذا الحرف الأمازيغي عوجة اولى ثم عوجناه مرة ثانية وثالثة فقط، فإنه يتطابق تماماً مع الحرف اللاتيني). وحين فتح باب الحوار. لم يجرؤ الطلبة على مناقشته إلا في الأمور التاريخية، لهذا اضطررت لمناقشة المحاضر، فقمت برسم (الحروف الكنعانية القرطاجية) ثم (الحروف اليمنية الجعزية) على اللوح وبدأت بمقارنتها مع الحروف الأمازيغية وكنت اكرر لدى مقارنة الحروف. الجملة التالية : لو عوجنا هذا الحرف الأمازيغي رُبع عوجة فقط فإنه يتطابق تماماً مع (الحرف الكنعاني والحرف اليمني الجعزي)، فضحك الطلبة وصفقوا لي فشعر الرجل بالحرج، لهذا قال للعميد عندما تناول معه العشاء (هل هذا الأستاذ الأجنبي بعثي أم إسلامي؟).

فضحك العميد وقال له : إنه عكس كل تصوراتك. اخبرني العميد بذلك لاحقاً وهو يضحك.

الفصل الثاني

المسألة الأمازيغية في الجزائر



١. الجزائر : قضايا وإشكاليات

احتلّ الفرنسيون الجزائر سنة 1830، وخرجوا منها عام 1962 حيث أعلن الاستقلال، بعد ثورة نوفمبر سنة 1954 التحريرية. وكانت جبهة التحرير الوطني الجزائرية التي قادت الثورة قد تشكلت من مجموعة أحزاب [حزب الشعب/حزب نجم شمال أفريقيا/حركة انتصار الحريات الديمقراطية/الحزب الشيوعي الجزائري/جمعية العلماء المسلمين/اللجنة الثورية للوحدة والعمل] وغيرها. ومنذ الاستقلال، تحولت الجبهة إلى حزب جبهة التحرير الوطني (الحزب الحاكم). وأجمعت أحزاب الحركة الوطنية على التعريب وفي مقدمتهم القيادات الثورية الأمازيغية. **لكن عملية التعريب لم تكن ناجحة، مع هذا لم تفشل**، لأسباب عديدة، أهمها عدم جدّية الدولة في التعريب حيث تركت المجال قوياً للفرنسية التي أصبحت أقوى في عهد الاستقلال. كذلك تخلف آليات التعريب. والسبب الثالث يعود إلى استغلال التيار السلفي الإسلامي والقومي لورقة اللغة العربية في صراعها السياسي مع الأحزاب الأخرى، وهذا ما جعل الأحزاب الأخرى [يسار جبهة التحرير والأحزاب اليسارية الديمقراطية] تشعر أن ورقة اللغة العربية هي حكر للجناح السلفي في الحزب الحاكم، مما أعطى إيحاءات بربط اللغة العربية بالتخلف والسلفية. ومن جهة أخرى مُنعتْ اللغة الأمازيغية المحظورة من شرعية الدستور. فقد نص الدستور في مادته الثالثة على أن اللغة العربية هي الوطنية وهي الرسمية. ورفض الدستور الاعتراف بالأمازيغية كلغة وطنية.

لقد تولت حكم الجزائر مؤسسة عسكرية وحزب سياسي متحالف معها منذ حكم الرئيس أحمد بن بلّه مروراً بالرئيس هواري بومدين (1965

- 1980) الذي كان له الفضل في صياغة مؤسسات الدولة لكنه فشل في عملية التعريب، وحتى الرئيس الشاذلي بن جديد (1980 - 1992) انتشر في عهده الفساد الإداري (لصوص ما بعد الثورة)، حتى أن الوزير الأول عبد الحميد ابراهيمي أعلن عام 1986 في التلفزيون الجزائري أن مسؤولين جزائريين منذ الإستقلال وحتى اليوم تلقوا [رشاوى وسمسرة] من الشركات الأجنبية التي كان لها علاقة بالتنمية في الجزائر، **مقدارها ستة وعشرون مليار دولار**. ومع ظهور النظام العالمي الجديد عام 1985، بدأ نظام الحكم في الجزائر يفتش عن حلٍّ للأزمة الاقتصادية الخانقة والبيروقراطية الإدارية، بعد أن أصبحت الدولة الجزائرية [البقرة الحلوب كما سمّاها ابن جديد في إحدى خطبه] مترهلة، فبدأ النظام يفكر في [الخصخصة]، ثمَّ بتفجير أحداث قسنطينة عام 1986 وأحداث أكتوبر 1988 في الوقت الذي يريده النظام بدلاً من أن تنفجر في الوقت الذي تصعب سيطرة النظام فيه على أحداث وانفجارات كانت متوقعة.

كانت إذن أزمة مؤسسة عسكرية وحزب سياسي حاكم متحالف معها ولم تكن مشكلة [تعريب وأمازيغية]. أما الجيش الوطني الجزائري وهو وريث الثورة، فقد قام بدوره الأمني على الحدود، بل وشارك في التنمية الوطنية المدنية في عهد بومدين. لكنه تحول عن مهمته الأساسية إلى شكلين : **أولاً** : اللعب بين أجنحة النظام السياسي. **ثانياً** : التركيز على الأمن الداخلي بدلاً من حماية حدود الدولة. وهكذا استولى الجيش على مؤسسات المجتمع المدني وأصبح عائقاً أمام تطور هذه المؤسسات [القضاء/الجامعات/التيارات الفكرية/الجمعيات]. لهذا كانت أحداث 1988 عاملاً قوياً لاستخراج القوى السياسية والفكرية المقموعة إلى سطح المجتمع الجزائري وظهور التعددية. وفي ظل التعددية السياسية التي أقرها دستور 1989 برزت (ظاهرة عودة المكبوت) ومن تجلياتها : مسألة

التعريب ومسألة الأمازيغية وما سُميّ بالصحوة الإسلامية. وهي قضايا فشلت الحكومات الجزائرية المتعاقبة في معالجتها معالجة منطقية وعقلانية وواقعية.

- يفخر الجزائري أولاً بأنه جزائري = الجزارة القطرية]، ثمّ بالإسلام، ثمّ بالأمازيغية أو العروبة ثم بكونه متوسطياً أفريقيا. هذه هي الصورة في الواقع، لهذا لم يعترض الأمازيغ على (الجزارة والمغاربية) ولا على الإسلام ولا على العروبة الأخوية الشعبية القطرية، وإنما اعترضوا على عروبة دكتاتورية إديولوجية تمنع الاعتراف بلغتهم الأمازيغية كلغة وطنية!!!

أما اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية فلم يعترض الأمازيغ عليها في برامج أحزابهم. والغريب أن الرابح من تبادل التهم بين العربية والأمازيغية، هي اللغة الفرنسية، حيث يصمت النظام وتصمت الأحزاب العروبية والإسلامية والأمازيغية عن مسألة فك الارتباط التدريجي مع اللغة الفرنسية بتحويلها إلى لغة أجنبية طبيعية للمعرفة الإنسانية والحضارية في التطبيق العملي. أما الشعارات فهي شيء آخر.

في عام 1980 انفجرت المسألة الأمازيغية بشكل حاد، في منطقة القبائل وعاصمتها مدينة تيزي وزّو، أدت إلى مظاهرات ضدّ النظام تطالب بالاعتراف بوطنية اللغة الأمازيغية. وكان بعض الأحزاب يتبنى الأمازيغية بالمطالبة بالاعتراف بها كلغة وطنية وليس رسمية [حزب الطليعة الاشتراكية - 1976] وجبهة القوى الاشتراكية، ومنذ 1989 حزب التجمع من أجل الثقافة فالديمقراطية وبعض المثقفين الجزائريين الراحلين (مولود فرعون/مولود معمري/كاتب ياسين]. وعندما انفجرت الحرب الأهلية الجزائرية عام 1992 بعد فوز التيار الإسلامي في

الانتخابات البرلمانية، عادت مشكلة الأمازيغية ومشكلة التعريب إلى التحول إلى قضايا ثانوية. وفي عام 1998 انفجرت مسألة التعريب ومسألة الأمازيغية من جديد للتغطية – كما أعتقد – على عجز النظام عن مقاومة الإرهاب المسلح وإيقاف المذابح في الجزائر أو بدقة – إدّعاء النظام بالعجز. أما لماذا الإدعاء بالعجز، فهذا يعود إلى المخطط الذي رسمه النظام لمستقبل الجزائر بعد سنة 2000، كما أعتقد. وهذا الاعتقاد قد يكون صائباً وقد يكون خاطئاً، فالمستقبل القريب جداً سيكشف كل الأوراق.

1.1 قانون تعميم استعمال اللغة العربية – 1991 :

تنصّ المادة الثالثة من دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الصادر عام 1989 على ما يلي : [**اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية**]. وقد تضمن التمهيد (الديباجة) في كتاب الدستور ما يلي :

أولاً : لقد عرفت الجزائر في أعزّ اللحظات الحاسمة التي عاشها البحر الأبيض المتوسط، كيف تجد في أبنائها، **منذ العهد النوميدي والفتح الإسلامي**، حتى **الحروب التحريرية** من الاستعمار، رواداً للحرية والوحدة والرقي وبناء دول ديمقراطية مزدهرة، طوال فترات المجد والسلام.

ثانياً : لقد تجمع الشعب الجزائري في ظل الحركة الوطنية، ثمّ انضوى تحت لواء جبهة التحرير الوطني، وقدّم تضحيات جساماً من أجل أن يتكفل بمصيره الجماعي في كنف الحرية والهوية الثقافية المستعادتين.

ثالثاً : إن الجزائر، أرض الإســـلام وجزء لا يتجزأ من للمغـرب العربي الكبـير وأرض عربيـة وبلاد متـوسطية وافـريقية تعـتز بإشـعا ع ثورتها، ثورة أول نوفمبر [1954].

هكذا يبدو لنا أنّ نصـوص الدسـتور ركـزت على الإسـلام واللغة العربية، لكنها لم تشر من قريب أو بعيد إلى اللغة الأمازيغية كعنصر من عناصر الهوية الوطنية واستعاضت عن ذلك بما ورد في [ديباجة التمهيد] من إشـارات عابرة للمتوسطية والافريقية والنوميدية الأمـازيغية. ونلاحظ أيضـاً أن الدسـتور قـد طبع في كتـاب واحـد باللغـة العـربيـة واللغـة الفرنسية.

ولم تكن هذه ملاحظة شكلية. فقد يتم تبرير وجود الترجمة الفرنسية للدسـتور مـع العـربيـة بأنه يندرج في تسـهيل قـراءة الدسـتور للناطقين بالفـرنسيـة. ولكن عـدم وجـود اللغـة الأمـازيغـيـة وهي اللغـة الوطنيـة في الدستور يثير الاعتراض. لكن الاعتراض من قبل الأمـازيغ انصبّ على المادة الثالثة حيث قدّمت اقتراحـات تنص على ما يلي تعديلاً للمادة الثالثة **[العربيـة والأمازيغية لغتـان وطنيتان، واللغـة العربيـة هي اللغة الرسمية]**.

ومعنى هذا بالنسبة للأمازيغ أنهم يعترفون باللغة العربية كلغة وطنية ورسـميـة للوطن الجزائري، لكنهم يعـتـرضـون على عـدم إضـافـة [اللغـة الأمازيغية كلغة وطنية] لها حقوقها الطبيعية على الدولة الجزائرية. وهذا بطبيـعـة الحـال يحـتـاج إلى تطبيق اجـراءات عـمليـة، حـدّدها المثـقـفـون الجزائريون الأمـازيغ.

وانطلاقـاً من الدسـتور 1989، ظهـر قـانون تعـمـيم اسـتـعـمـال اللغـة العربية في 1991/1/16، معـتمداً على قوانين سـابقة تعود إلى عـام 1966،

وأوامر منها الأمر المؤرخ بتاريخ 1968/4/26 المتضمن إجبارية معرفة اللغة الوطنية على الموظفين والأمر المؤرخ بتاريخ 1970/2/19 المتضمن وجوب استعمال اللغة العربية في تحرير وثائق الحالة المدنية. والأمر المؤرخ بتاريخ 1973/1/10، المتضمن تعريب الأختام الوطنية. والأمر المؤرخ بتاريخ 1976/4/16 المتضمن تنظيم التربية والتكوين والقانون المؤرخ بتاريخ 1984/1/7، المتضمن تخطيط مجموعة الدارسين في المنظومة التربوية والقانون الصادر بتاريخ 1986/8/19، المتضمن إنشاء المجمع الجزائري للغة العربية. وغيرها من الأوامر [التعليمات] والقوانين.

وقد أقر قانون تعميم استعمال اللغة العربية من قبل المجلس الشعبي الوطني (البرلمان) ووقعه الرئيس الشاذلي بن جديد. وفيما يلي أهم بنوده :

ينص القانون على أن اللغة العربية [مقوّم] من مقومات الشخصية الوطنية وثابت من ثوابت الأمة الجزائرية ويجسد العمل بها مظهراً من مظاهر السيادة، لهذا يجب على كل المؤسسات أن تعمل لترقية اللغة العربية وحمايتها وحسن استعمالها، ولهذا تمنع كتابة اللغة العربية بغير حروفها. هذا في مجال الأحكام العامة في القانون. أما في مجال **التطبيق** فقد نصّ القانون على ما يلي :

1. **المادة الرابعة** : تلزم جميع الإدارات العمومية والهيئات والمؤسسات والجمعيات على اختلاف أنواعها باستعمال اللغة العربية [وحدها] في كل أعمالها...الخ.
2. **المادة الخامسة** : تحرر كل الوثائق الرسمية باللغة العربية... الخ.
3. **المادة السادسة** : تحرر العقود باللغة العربية [وحدها]، ويمنع تسجيلها إذا كانت بغير اللغة العربية... الخ.
4. **المادة الثامنة** : يجب أن تُجرى الامتحانات الخاصة بالالتحاق بجميع الوظائف في الادارات والمؤسسات باللغة العربية.

5. **المادة التاسعة** : [يمكن] أن تستعمل استثناء اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية في الندوات والملتقيات والتظاهرات [الدولية].

6. **المادة 12** : يكون تعامل جميع الإدارات والهيئات والمؤسسات والجمعيات [مع الخارج] باللغة العربية. وتبرم المعاهدات والإتفاقيات باللغة العربية.

7. **المادة 15** : يكون التعليم والتربية والتكوين في كل القطاعات وفي جميع المستويات والتخصصات باللغة العربية [مع مراعاة كيفيات تدريس اللغات الأجنبية].

8. **المادة 16** : يجب أن يكون الإعلام الموجه للمواطن باللغة العربية [مع مراعاة أحكام المادة 13 من قانون الإعلام]. ويمكن أن يكون الإعلام المتخصص أو الموجّه إلى الخارج باللغات الأجنبية.

9. **المادة 11 + 17 + 19** : تصدر الجريدة الرسمية بالعربية وحدها. وتعرض الأفلام السينمائية والتلفزيونية والبرامج باللغة العربية [أو تكون معربة أو ثنائية اللغة]. ويتم الإشهار (الإعلانات) باللغة العربية ويمكن استثناء لغات أجنبية إلى جانب اللغة العربية عند الضرورة وبعد الحصول على إذن من الجهات المختصة.

10. **المادة 20** : تكتب باللغة العربية [وحدها] العناوين واللافتات والشعارات والرموز واللوحات الإشهارية. [ويمكن أن تضاف لغات أجنبية في الأماكن السياحية المصنفة].

11. **المادة 21** : تطبع باللغة العربية وبعدة لغات أجنبية، الوثائق والمطبوعات والاكياس والعلب التي تتضمن البيانات التقنية وطرق الاستخدام وعناصر التركيب وكيفيات الاستعمال التي تتعلق بما

يلي : المنتجات الصيدلانية والكيماوية والخطيرة وأجهزة الإطفاء والإنقاذ ومكافحة الجريمة، على أن تكون الكتابة بالعربية بارزة.

12. **المادة** 22 : تكتب باللغة العربية الأسماء والبيانات المتعلقة بالمنتجات والبضائع والخدمات وجميع الأشياء المصنوعة والمستوردة. [ويمكن استعمال لغات أجنبية استعمالاً تكميلياً].

13. **المادة** 27 : ينشأ مركز وطني يتكفل بتعميم اللغة العربية بالوسائل الحديثة وترجمة البحوث الأجنبية العلمية والتكنولوجية ونشرها وترجمة الوثائق الرسمية... الخ.

أمّا الفصل الرابع من القانون فهو بعنوان [أحكام جزائية]، حيث تتراوح الغرامات على المخالفين لأحكام القانون من عشرة آلاف إلى مائة ألف دينار جزائري.

أما الفصل الخامس وهو بعنوان [أحكام انتقالية] فيتضمن ما يلي :

1. **المادة** 36 : تطبق أحكام هذا القانون فور صدوره، على أن تنتهي العملية بكاملها في أجل أقصاه 1992/7/5 .

2. **المادة** 37 : يتم التدريس باللغة العربية وحدها في كل مؤسسات التعليم العالي والمعاهد العليا، ابتداء من السنة الأولى الجامعية 92/91، على أن تتواصل العملية حتى التعريب الشامل والنهائي في أجل أقصاه 1997/7/5.

3. **المادة** 38 : تكتب التقارير والتحاليل والوصفات الطبيّة باللغة العربية،[غير انه يجوز استثناء كتابتها باللغة الأجنبية إلى أن يتم التعريب النهائي للعلوم الطبيّة والصيدلانية].

4. **المادة 39** : يمنع على الهيئات والمؤسسات استيراد، أجهزة الإعلام الآلي والإبراق وكل الأجهزة الخاصة بالطباعة والكتابة، إذا لم تكن موظفةً للحرف العربي.

* * *

ونسجل فيما يلي بعض الملاحظات على هذا القانون :

أولاً : نلاحظ أنَّ القانون يتجاهل تماماً اللغة الأمازيغية بصفتها لغة وطنية، بينما يُبيح الإستثناءات في كثير من المجالات لما يُسمى باللغات الأجنبية والمقصود هي الفرنسية، على وجه التحديد. فمن الواضح أن الإتفاق على تعميم اللغة العربية صاحبه شبه توافق على استثناء الفرنسية في بعض المجالات والحالات، في مقابل تجاهل الأمازيغية، اللغة الطبيعية لجزء هام من سكان الجزائر.

ثانياً : شملت الاستثناءات اللغه الفرنسية في المواد التالية من القانون [9 + 15 + 16 + 17 + 19 + 20 + 21 + 22 + 27 + 38]. وكلها لصالح اللغة الفرنسية.

ثالثاً : راعى القانون مسألة التطبيق التدريجي في الأحكام الانتقالية (37 + 38 ومواد أخرى]، لكنه حصر هذا التطبيق التدريجي بنهاية زمنية لا تتوافق مع الظروف الطارئة اللاحقة [الحرب الأهلية]. وبالتالي لم يخطىء القانون في التطبيق التدريجي من الناحية القانونية والنظرية، حتى 1997/7/5، لكن المطالبة بتطبيقه عام 1998 في التظاهرات المضادة للأمازيغية لم تكن منطقية، لأن شعارات هذه التظاهرات لم تأخذ بالتحولات بعد صدور القانون

عام 1991، أي انفجار الحرب الأهلية. وبالتالي : كانت مطالبة الزعيم الجزائري الأمازيغي حسين أيت أحمد عام 1998 بتطبيق قانون تعميم اللغة العربية بالتدريج منطقية.

رابعاً : كانت الجزائر منذ استقلالها حقلاً للتجريب في مجال التعريب وتمَّ تبسيط المسألة إلى درجة الخلل الواضح، على النحو التالي بالقول : إنَّ القوميين البعثيين السوريين والعراقيين والاسلاميين المصريين هم المسؤولون عن عدم نجاح عملية التعريب في الجزائر التي شاركوا فيها كأساتذة في المدارس والجامعات!!!. صحيح أن بعض هؤلاء الأساتذة كان يتميز بوجهة نظر سلفية قومية وإسلامية تجاه اللغة العربية، إلاَّ أنَّ المسؤولية الجوهرية تتعلق بغياب الحكومات الجزائرية المتعاقبة عن متابعة موضوع التعريب والاكتفاء بالشعارات وغياب اليات حديثة حيث اقتصر الكلام عن [الوسائل السمعية والبصرية] واستخدامها وكأنها هي الحل السحري لمشكلة اللغة. والأهم من ذلك لم تنجز الحكومات المتعاقبة مشروع دراسة علمية للمسألة الألسنية في الجزائر. لهذا ظلَّ الأساتذة العرب في الجامعات الجزائرية [أقسام اللغة العربية]، يتلقون الأوامر والتعليمات والمراسلات من إدارة الجامعة باللغة الفرنسية حتى مطلع التسعينيات، وعلى رأسها جامعة قسنطينة، معهد اللغة العربية، كما يسمونها.أما الإدارات الحكومية فوثائقها بالفرنسية، وإن حدث وأن كانت بالعربية فهي تكتب بعربية ركيكة. ولو شاءت الحكومة الجزائرية في الثمانينيات تعريب الإدارة لعيَّنتْ آلاف العاطلين عن العمل من حملة البكالوريوس في اللغة العربية الذين يتقنون العربية والفرنسية والأمازيغية أيضاً. فالتخبط في التجريب كان من

سمات التعريب. كما أنّ بعض الأساتذة المشارقة كانوا خبراء في مجال تكريه الناس باللغة العربية بسبب حذلقتهم اللغوية وميولهم السلفية، التقليدية. لكن المسؤول عن التجريب هو الحكومة أولاً وأخيراً. ونلاحظ هذا التجريب في المجال العمراني، مما شوّه الجزائر الجميلة لغوياً وعمرانياً وفكرياً. المضحك المبكي أن انصار التعريب الجزائريين أنفسهم ومنهم حملة دكتوراه في اللغة العربية، كانوا ينفذون أوامر رئاسة الجامعة حرفياً ولم يعترضوا على المراسلات بالفرنسية، بل كانوا يبحثون عن مصالحهم الشخصية مع الحكومة. وكانوا يهتفون بفرح شديد للجزارة 100٪ عندما يوقعون بأنفسهم قرارات إلغاء عقود لأساتذة مشارقة. وعندما كان يثار الضجيج في الصحف أو في الجامعات أو في الشوارع دفاعاً عن التعريب، كان يتم بأوامر حكومية للتغطية على مشاكل داخلية غالباً. وهكذا فإنّ غياب التخطيط والمتابعة وغياب الأبحاث العلمية الألسنية وغياب الديمقراطية وهو الأساس ترك المجال للسطحيين من انصار التعريب لتحويلها إلى مشكلة شعاراتية. وظلت الأمازيغية ممنوعة حتى من مجرد النقاش العلمي، بل زعم البعض أنه لا توجد مشكلة أمازيغية أصلاً، وأنّ من يثيرونها هم [عملاء فرنسا!!]. وبهذا ظلّ المثقفون الجزائريون يكرهون لغة المستعمر ويعشقونها معاً، فتطاحن أنصار العربية وأنصار الأمازيغية، فبقيت الفرنسية هي لغة الخلاص السريّة والعلنية والسحرية.

خامساً : في خلاصة أولى نرى أن قانـــون اللغة العربية يجب أن يطبق بالتدريج لاستيعاب المشكلة الألسنية في الجزائر، وعلى هذا القانون أن يضيف بوضوح أن اللغة الأمازيغية لغة وطنية مع بقاء

اللغة العربية وطنية ورسمية للدولة. كذلك التطبيق التدريجي لتحويل الفرنسية إلى أقسام اللغات الأجنبية في الجامعات، وإلى لغة اجنبية في المدارس إلى جانب الانجليزية والإسبانية والالمانية والروسية مثلاً.

1. 2 : سجالات وتظاهرات 1998 : التعريب والأمازيغية والفرنسية

أعلن الرئيس الجزائري الأمين زروال، سريان تطبيق قانون اللغة العربية اعتباراً من 1998/7/5. وكان اغتيال المطرب الامازيغي معتوب الونّاس، مناسبة لتظاهر القبائل الأمازيغية ممثلة بأحزابها ضدّ قانون استعمال اللغة العربية، واستمرت الاحتجاجات يوم 1998/7/9 [حيث سارت تظاهرة حاشدة في العاصمة التي توافد إليها الآلاف في حافلات قادمة من تيزي وزو وبجاية. وحمل المتظاهرون شعارات كتبت بالعربية والأمازيغية تطالب الحكومة بالاعتراف بالأمازيغية لغة وطنية وتطبيق قانون التعريب تدريجياً] كما قالت الصحف. وقال صحافي جزائري خالد بن ققه في مقال كتبه لجريدة [الحياة اللندنية 1998/7/20] وهو من أنصار التعريب الإلزامي بأن الصراع أساسه ثقافي ولا علاقة له اطلاقاً بالموقف السياسي وهاجم المطرب الأمازيغي القتيل قائلاً : [لا يحظى هذا الفنان بأية شعبية خارج منطقة القبائل] وقال [إن موقف الحركة البربرية كان إلى وقت قريب معادياً للسلطة الجزائرية وربما لا يزال. وهم يرفضون تطبيق قانون التعريب] وزعم الصحافي أن راشدي وزير التعليم الأسبق وهو من أصول بربرية أعلن أنّ [اللغة العربية لغة غير طبيعية في البلاد وأنّ اللغة الأصلية هي الامازيغية وأن الفرنسية

ضرورية لكونها لغة العمل] لكن الصحافي لا يذكر المصدر أو المرجع الذي استقى منه هذا القول.

ويقول صحافي جزائري اخر عبد العالي رزاقي وهو ايضاً من أنصار الحكومة [العرب اليوم الأردنية 1998/7/11] ومن أنصار التعريب [يجب أن ندرك أنَّ الأقلية وحقوق الإنسان هي شعارات لضرب مصالح شعوبنا. فالأقلية في الجزائر مجرد ورقة سياسية في يدي فرنسا]. قدّم الصحافي أمثلة على دور الأقلية وهو يقصد (الأمازيغ) فيقول بأنَّ الأقلية هي صاحبة القرار في جميع مراحل الحكم في الجزائر منذ عام 1962 وحتى اليوم، ففي 1963 شهدت تيزي وزو تمرداً عسكرياً، ضدَّ حكم الرئيس أحمد بن بلّة لأنه من غرب الجزائر. وعندما أممَّ الرئيس هواري بومدين البترول عام 1971 ضغطت فرنسا على الجزائر وتحركت الأقلية البربرية لصالح فرنسا. وكان ما يسمّى بالربيع البربري في أبريل 1980 هو أول محاولة علنية من هذه الأقلية لحرق رموز الأغلبية [القران الكريم والعلم الجزائري]. لكن الصحافي يستدرك بأن **السلطة العسكرية تدخلت بالقوة وقمعت مطالب كان يمكن معالجتها في إطار المؤسسات المنتخبة آنذاك**]. ويضيف الصحافي : أما اليوم فقد تحركت الأقلية البربرية بسبب **إحالة الجنرالات البربر في الجيش على التقاعد**. أما عن الأقليات الدينية في الجزائر [اليهود والمسيحيون] فيقول بأن الحديث عنها من الممنوعات في الجزائر. فقد كان أول وزير للمالية في عهد بومدين مسيحياً وكان رئيس الجالية اليهودية محامياً للرئيس بومدين. أما الأقلية المسيحية فهي تنقسم إلى فئتين : فئة تنصرت في الغرب الجزائري [خاصة في منطقة الشّلِفْ] في عهد الاستعمار الفرنسي وهم جزائريون، وفئة أخرى هي الفرنسيون والمعمّرون الذين كانوا من أنصار الثورة الجزائرية وقد ظلوا في الجزائر محافظين على

لغتـهم وعـادتهم الفـرنسيـة، ولم يتعلمـوا اللغـة العـربيـة. وبقيت الكنيسـة الجزائرية مجرد مؤسسة تابعة للفاتيكان، بينما تتقاضى مصروفاتها من وزارة الشؤون الدينية الجزائرية.. وفي التسعينيات قدم [الآباء البيض]، وهم الاستـثناء الوحيـد، حيث حـاولوا تعلم اللغـة العـربيـة، كمـا يقـول الصحافي الجزائري عبد العالي رزاقي.

ويمكننا أن نقـدم بعض الملاحظات حـول كـلام الصـحـافـيـين الجزائريين. فـالأمـازيغ يقـولون إن الأجـهـزة الأمنيـة الجـزائرية هـي التي حرقت رموز الأغلبيـة [القرآن والعلم] من أجل التـحـريض ضـد الحـركة الثقـافية الأمازيغية، لتشويه مطالبها أمام الراي العام وينكرون تماماً هذه الحـادثة. كذلك يضـخم الصـديق عبدالعـالي رزاقي دور الأقليات الدينية [اليهود والمسيحيون] في السلطة، فنحن نفترض أن عددهم مسجل لدى الحكومـة نفسـهـا، بل أشـارت الصـحف إلى وجـود الف يهـودي جـزائري وهو رقم مشكوك فيه. أما بالنسبة للأمازيغ فلا يمكن تسميتهم بالأقلية لأسباب علمية عديدة فالمسألة لا تتعلق بمدينة تيري وزّو كما يعرف. وهو أيضـاً يضـخم دور الأمـازيغ في نظام الحكم، فـهل قـادة الجـزائر منذ الاستقلال وحتى اليوم كلهم من منطقة القبائل مثلاً، وهنا يصبح مفهوم الأقلية غير دقيق. ثمّ ماذا عن حزب جبهة التحرير، الحزب الحاكم منذ الاستقلال وحتى الآن، هل ينتمي للأقلية الأمازيغية؟!!!. أما تبسيط الأمر بأن الأمازيغ كانوا يثورون ويتمردون ضدّ السلطة لأنهم [حزب فرنسا في الجزائر] كما يقول الصحافيان فهذا يندرج ضمن التهم المتبادلة. فهناك عرب في السلطة موالون لفرنسا أيضاً وهم أيضاً يدافعون عن فرنسا والاسلام واللغة العربية واللغة الفرنسية [فرانكو - مُسْليمان]، أليس كذلك هو الأمر. أما قول الصحافي الآخر [خالد عمر بن ققة] الذي كتب في صحيفة الحياة اللندنية، عن مقتل المطرب معتوب الوناس بأنه مطرب

محدود الانتشار، فهل إذا كان المطرب محدود الانتشار وأمازيغياً، يمكن تبرير قتله؟!!! أم أن الأصل هو إدانة القتل؟!!!

يعتقد كثيرون أن التظاهرات بعد قانون تعيمم اللغة العربية ومقتل المطرب الأمازيغي والمطالبة بالاعتراف باللغة الأمازيغية كلغة وطنية، جاءت بتحريك من السلطة الجزائرية لتغطية عجزها أو الإدعاء بالعجز عن مقاومة الإرهاب والمذابح ضدّ المواطنين الجزائريين الأبرياء. وهنا نقرأ حواراً مع **حسين آيت أحمد زعيم حزب جبهة القوى الاشتراكية المعارضة وأحد زعماء الثورة الجزائرية التاريخيين [صحيفة الحياة اللندنية** – 1998/7/10]. ونقتطف منه ما يلي :

أولاً : لقد كانت تظاهرات الربيع الأمازيغي عام 1980، تظاهرات سلمية تطالب برفع القمع الذي كانت تعرض له اللغة الأمازيغية التي نرى أن المحافظة عليها وصونها، يصبّان في إطار المحافظة على الوحدة الوطنية. لكننا حوّلنا تلك التظاهرات إلى تظاهرات للمطالبة بالديمقراطية. فقد تعمدت السلطة إلى زرع الحساسيات بين المناطق الجزائرية فوزعت السلطة خريطة زعمت أنها خريطة [الدولة البربرية]. وكان ذلك عملاً هدّاماً كان يقصد منه تشويه صورة الحركة الأمازيغية بإظهارها على أنها غير وطنية وعنصرية.

ثانياً : أما ما يحدث اليوم [تموز 1998] بشأن التعريب، فهو وسيلة ليس هدفها التعريب الحقيقي، بل إقصاء اللغة الأمازيغية وإشغال الرأي العام الجزائري بمشكلة أخرى، غير المشكلة الحقيقية]الإرهاب والمذابح]. ومع قانون التعريب واغتيال المطرب وناس، شعرنا أن منطقة القبائل مقبلة على ثورة وخشينا أن تحول حركة

الاحتجاج إلى عنف، لذلك نظمنا مسيرات سلمية للتعبير عن رفض ما يحدث، والتأكيد على أننا دعاة وحدة وطنية.

ثالثاً : نحن ندافع عن الديمقراطية والتعددية والعدل. وقد قاسى الجزائريون كلهم تقريباً من إفلاس [المدرسة] وهم يتهمون نظام الحكم بأنه ينافق في قضية التعريب. لقد كانت مشكلة التعريب قائمة قبل الحرب الأهلية، وهناك من يريد قلب المواجهة بين الجيش والإسلاميين إلى مواجهة بين القبائل [الأمازيغ] والعرب. ولن نقع في هذه اللعبة الشيطانية. لقد اخترع النظام مؤخراً [حركة بربرية مسلحة] لتهديدنا. ونحن نعرف أن هناك استخداماً لبعض الجماعات المسلحة. وقد قال رئيس الجمهورية خلال لقائه بممثلي حزبنا أن التعريب سيتم بطريقة تدريجية. لكن لماذا لم يقل الرئيس هذا قبل التظاهرات. ما نخشاه هو أن تأتي السلطة بالبعثيين والأصوليين والدكتاتوريين إلى جامعاتنا لتطبيق التعريب على طريقتهم. وهذا يشوّه اللغة العربية. لقد توليت مهمة الإشراف على تعريب السنة المدرسية الأولى بعد الاستقلال. والآن نريد أفضل الأساتذة في اللغة العربية ولا نريد من الدول العربية أن يحلّوا مشكلة البطالة عندهم بإرسال أساتذة [...].

رابعاً : هناك مؤامرة استراتيجية كبرى هدفها التخلص من أحزاب المعارضة الديمقراطية. ويجب أن لا ننسى أن منطقة القبائل [الأمازيغ] كانت قلعة لتحرير البلاد. كان من المستحيل لجبهة التحرير أن يجتمع مؤتمرها في أغسطس 1956 في منطقة أخرى غير منطقة القبائل (مؤتمر الصومام).

خامساً : لا نتهم الإسلاميين بمقتل المطرب معتوب الونّاس مع أننا

نستنكر الإجرام الذي يقوم به بعض الاسلاميين. ليس الإسلاميون هم الذين يقتلون، إنه نظام الحكم أيضاً. فإغتيال الرئيس محمد بوضياف يدلّل على أن من قتله يقتل غيره.

سادساً : لم ينجح الاستعمار الفرنسي طوال أكثر من قرن في تأسيس ما يسمى بالدولة البربرية في منطقة القبائل. فالثورة التي انطلقت عام 1879 ضد الاستعمار الفرنسي، انطلقت من منطقة القبائل. مستحيل أن ينجح اليوم ما فشل بالأمس. لكن نظام الحكم ربما يدفع بعض الجهات إلى التطرف وإلى تأسيس حركات تحاول إيجاد بوادر انفصال. ولكننا سنكون أول من يقف في وجه محاولات ضرب الجزائر في وحدتها واستقلالها.

هذا ملخص لحوار طويل مع حسين ايت أحمد توقع في نهايته أنّ لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان التي تزور الجزائر لن تحقق شيئاً، والسبب أن نظام الحكم يخاف من لجنة دولية للتحقيق. من جهة أخرى قالت الصحف [أنظر : النهار اللبنانية -1998/8/1] أن **لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان** طلبت من السلطات الجزائرية إجراء تحقيق مستقل في تصرفات قوى الأمن في كل حالات المجازر التي شهدتها البلاد وأعمال التعذيب والإعدامات بدون محاكمة واختفاء الأشخاص المزعومة. وأشارت اللجنة أن الوفد الحكومي الجزائري قدّم للوفد الدولي [معطيات غير كافية وغير دقيقة عن الأزمة الحالية في مجال حقوق الإنسان]. وأسفت رئيسة اللجنة، لأن المناقشات مع الوفد الجزائري لم تسفر إلاّ عن [**حوار طرشان**!!].

لقد نشرت صحيفة الحياة اللندنية في تموز 1998 سلسلة تحقيقات ميدانية من الجزائر، أجراها الصديق الصحافي

السوري نوري الجرّاح (المقيم في لندن)، تستحق التأمل. يبدأ نوري الجراح سلسلة تحقيقاته بمقالة طويلة بعنوان [الأزمة ثقافية أساساً ولا يمكن حلّها بأدوات أمنية] قال فيها : في الخامس من تشرين (أكتوبر) 1998 تتم الأزمة الجزائرية سنواتها العشر. فقد أسفرت الأوضاع الاجتماعية المتأزمة عن انتفاضة اكتوبر 1988 في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد، نفذّها شبان أطلقوا على أنفسهم اسم [الحيطيست]، لأنهم كانوا يستندون إلى شوارع المدينة بلا عمل. وقيل آنذاك أن نظام الشاذلي الذي كان يشعر بقرب أجله، له يدٌ في هذه الانتفاضة التي ذهبت أبعد مما خطط لها، إذ سرعان ما امتدت المظاهرات وأعمال الشغب إلى ولايات أخرى، وكان نظام الرئيس الشاذلي بن جديد قد وصل إلى ذروة الفساد. لقد أمكن لنجاحات الرئيس الأسبق هواري بومدين أن تغطي على عيوب نظام الحزب الواحد، لكن نظام بومدين أخفق في قضية التعريب. يقول الدكتور بوعلام بن حمودة الوزير عدّة مرات أنه كان من المفروض أن نعود إلى لغتنا بمجرد الحصول على الإستقلال، وإنني أعتقد شخصياً أن الشعب الجزائري لو قررنا التعريب الكامل عام 1962 لاعتبر أن قراراً مثل هذا، طبيعي. ولتكيف مع الوضع الجديد، لكن هذا لم يحدث. وبدلاً منه استمرت الدولة الجزائرية – يقول بن حمودة – في نشر التعليم الرسمي بالفرنسية. بل إن المفارقة المؤلمة أنَّ المدارس الفرنسية تضاعف عددها مئات المرّات عما كانت عليه سابقاً. وهكذا عملت دولة الاستقلال على فرنسة شعبها الذي حررته من الاحتلال الفرنسي]. ويواصل نوري الجراح قائلاً : مما يلفت الانتباه هو بلاغة حضور فرنسا والفرنسية في شارع يدين تاريخياً بفكرة الوطنية. وهناك ثلاثة مواقف تجاه اللغة الفرنسية. موقف مضاد للفرنسية في مقابل موقف مساوم يرى في اللغة الفرنسية مصدراً من مصادر التحضر ووسيلة للرقي

المعرفي، انطلاقاً من رواسب الإحساس بالدونية. والموقف الثالث : موقف فوضوي بدوي براغماتي. ولم تتمكن النخبة السياسية والإدارية التي حكمت البلاد منذ الاستقلال من أن تنجز حتى التعريب. ويقول الصحافي الجزائري **أحميدة عياشي** عن بدايات الحركة الإسلامية أن هذه الحركة بدأت تياراً عروبياً في الحي الجامعي [بن عكنون] بالجزائر العاصمة. وكان هذا التيار يقف ضدّ كل ما هو يساري أو أمازيغي.

ولم يكن التيار الإسلامي قد ظهر في الساحة. وكان بعض أعضاء هذا التيار العروبي من منظمة الشبيبة التابعة لحزب جبهة التحرير، الحزب الحاكم. وكنت أعرف شخصياً – يقول عياشي – أبرز أعضاء هذا التيار وهم في غالبيتهم اليوم أساتذة في معهد الحقوق بجامعة الجزائر، وبعضهم موظفون في [مرصد حقوق الإنسان] وفي [جمعية الدفاع عن اللغة العربية]. واكتشفت لاحقاً أن المشرف على تلك الحركة بطريقة غير مباشرة هو **بوعلام بن حمودة وزير الداخلية**. وهو اليوم أمين عام حزب جبهة التحرير، أما المسؤول عن التعريب فكان عبد القادر حجّار وهو اليوم عضو في البرلمان. في تلك الأيام – بعد 1979 – كان كل من هو قبائلي [أمازيغي] يصطاد في الحي الجامعي يُجلد ومن بين الذين فرّوا من الجلد المغني الأمازيغي فرحات مهني.

ويقول جمال الدين طالب (الحياة – 1998/7/13) : كثيرون من المشارقة يحسدوننا على معرفتنا باللغة الفرنسية. فالفرنسية هي فضاء يوفر لنا الجديد دائماً ويفتح أمامنا أبواب المعرفة!!! ويقول أحمد الملياني [لقد اتسع استعمال اللغة الفرنسية بعد الاستقلال وليس في عهد الاستعمار]. ويقول باديس بوشامة [كانت عملية التعريب تتم بمراسم رئاسية وتعليمات وزارية، لكن الواقع كان عكس ذلك تماماً]. ويقول رشيد

فيلالي [مع مجيء الرئيس بوضياف جُمِّد قانون تعميم اللغة العربية، بضغوطات من حزب فرنسا، بل حتى من قبل المعرّبين الذين ينتمون إلى ما يسمّى حزب فرنسا. وعندما جرى التصويت مجدداً على قانون اللغة العربية، ثمّ التصويت عليه من قبل التيار البعثي بشيء من العنف. ونختتم هذه المقتطفات بقول نوري الجراح التالي :

[الجزائري ينتقد على مسمع منك، كل ما لا يرضى عنه، لكنه ما أن يسمع منك ذلك، حتى ينبري للدفاع مختلقاً الأعذار]. **ونصل إلى خلاصة أولى :**

أولاً : تأخرت الدولة الجزائرية في مسألة التعريب، وكانت غير جدّية في تطبيقه. كما لم تأخذ بالوسائل المعرفية الحديثة لتطبيقه تدريجياً، بعد قراءة الواقع الألسني للإنسان الجزائري. كما مارست الحكومات المتعاقبة، أساليب أمنية لحلّ مشكلة ثقافية، مما جعل التعريب وسيلة للإثارة والتغطية على مشاكل سياسية واجتماعية واقعية، ومجرد شعارات تستخدم في الصراع على السلطة وعندما استعانت الدولة الجزائرية بأساتذة مشارقة، اختارتهم من ذوي الميول الأصولية البعثية والإسلامية، وفق آراء بعض الجزائريين، كما وضعت الدولة اللغة العربية في مواجهة الأمازيغية وهي لغة وطنية.

ثانياً : ظلّت الفرنسية هي المهيمنة وازداد نفوذها بعد الاستقلال في مقابل صراع العربية والأمازيغية. ولم تكن الدولة الجزائرية جدّية في قرارها بتحويل اللغة الفرنسية من لغة استعمارية تشكل عائقاً أمام العربية والأمازيغية إلى لغة معرفة إنسانية وحداثة يمكن أن تكون لها شرعية اللغة الأجنبية الضرورية للمعارف

الحديثة. ولم تلجأ الدولة إلى تعددية اللغات الأجنبية للتخفيف من هيمنة الفرنسية [الانجليزية والإسبانية مثلاً].

ثالثاً : لم تعترف الدولة بالأمازيغية كلغة وطنية إلى جانب اللغة العربية الوطنية والرسمية.

رابعاً : حاول حزب جبهة التحرير، الحزب الحاكم منذ أحداث قسنطينة عام 1986، وانتفاضة [الحيطيست] عام 1988، أن يفجر المجتمع الجزائري لاستخراج القوى السياسية، الكامنة والمكبوتة من أجل أن تشارك هذه القوى المقموعة، في حل الأزمة الاقتصادية والاجتماعية الخانقة، حتى لا ينفجر المجتمع في وقت لا يستطيع الحزب الحاكم السيطرة فيه على الانفجار المتوقع. لهذا فجر الحزب الحاكم الأوضاع بنفسه، لكي تتلاءم الجزائر مع النظام العالمي الجديد. ولكي يجعل الحزب الحاكم هذه القوى المقموعة، تتبنى الخصخصة ومستلزمات ثقافة النظام العالمي الجديد، بينما يحكم الحزب الحاكم بعد أن يتشظى من وراء الستار، بالتحالف مع المؤسسة العسكرية صاحبة القرار الأول في الجزائر. ومعنى هذا أنني أعتقد أن السلطة العسكرية غير عاجزة عن إيقاف حمام الدم. ولكنها لم تفعل ذلك. إلاّ بعد تصفية معارضيها [التيار الإسلامي] من جهة وقد نجحت إلى حدٍّ بعيد. و [التيار الأمازيغي الديمقراطي]، حيث لا أعتقد أنها ستنجح، لأنّ بعض أجنحة العسكر ينتمون للأمازيغ، ولكن المؤسسة العسكرية ستعمد إلى تدجين التيار الأمازيغي لكي ينسجم مع السلطة، فالحركة الأمازيغية [ثقافياً] تؤمن بشعارات مؤسسات المجتمع المدني وحقوق الإنسان وتحرير المرأة والتعددية الفكرية والحزبية، بعيداً عن النظام الحاكم.

خامساً : يشترك النظام بمؤسسته العسكرية وأجنحته السياسية وبعض معرّبيه مع الحركة الأمازيغية حول ضرورة بقاء اللغة الفرنسية بصيغة ما.

سادساً : استخدام سياسة [**سيف إرهاب الغموض**] هي من خصائص التفكير السياسي للسلطة الجزائرية، والخاصية الثانية هي [الإمساك بكافة الخيوط] واستعمالها لصالحها في الوقت المناسب. وإذا كانت هاتان الخاصيتان تصلحان في السياسة الخارجية، فهما لا تصلحان قطعاً – دائماً – في السياسة الداخلية.

2. الأحزاب الجزائرية والأمازيغية 1990 :

عشرات الآلاف يتجمعون أمام مقر المجلس الشعبي الوطني (البرلمان) بتاريخ 1990/1/19 للمطالبة بإدماج اللغة الأمازيغية في الثقافة الوطنية لكي تصبح لغة وطنية و [رسمية] إلى جانب اللغة العربية. وظهر الخميس 1990/4/19، اجتمع ممثلو سبعة أحزاب لمناقشة موضوع اللغة. وقد أكد عبد الكريم غزالي ممثل حزب العمال الاشتراكي بأن اللغة الأمازيغية يجب أن تكون وطنية لأنّ جزءاً من الشعب الجزائري يتكلم بها ولأنها ليست لغة أجنبية مستوردة، كما يجب أن تكون رسمية. وقال شوقي صالحي من نفس الحزب بأن الأمازيغية ليست عامل تفريق فهم الذين يفرقون، عندما يمنعون جزءاً من الشعب من امتلاك وتطوير ثقافته وهاجم الذين يزعمون أن الدعوة الأمازيغية مدعومة من فرنسا، فقال بعد تظاهرة 1990/1/19 صاروا يقولون [لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى]. وقال نوري سعدي، ممثل **حزب الطليعة (الشيوعي)** بأن

كبار الأدباء الجزائريين من أمثال كاتب ياسين هم الذين بادروا إلى طرح وطنية اللغة الأمازيغية (وليس الأحزاب) وأنها مسألة سياسية ذات طابع ديمقراطي وهي لغة وطنية وقال بأن الشعب الجزائري هو شعب أمازيغي حمل له الإسلام اللغة العربية وعدداً من القيم، وهذا لا ينفي الخصائص الأمازيغية. وشارك في الندوة ميجودي ممثل **جبهة القوى الاشتراكية** [حزب ايت أحمد] وبوستة ممثل **الحزب الاجتماعي الديمقراطي** وعمارة **ممثل التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية** الذي حذّر من خطرين : **أولاً** : خطر التعامل مع التراث الزمازيغي، بمنهجية فولكلورية. **ثانياً** : خطر المتاجرة والمزايدة بقضية الأمازيغية. وردّ على قول منسوب لحمروش رئيس الوزراء آنذاك، جاء فيه أن الفرنسية هي اللغة الثانية بعد العربية، قائلاً : نحن نقول إن الأمازيغية هي اللغة الوطنية الثانية. وفيما يتعلق بالأحرف التي ينبغي أن تكتب بها الأمازيغية، طالب بترك هذه المسألة للمختصين في علم اللغة. أما ممثل الحركة الديمقراطية من أجل الديمقراطية (بقيادة الرئيس الأسبق أحمد بن بلّة) فقد طالب بأن تأخذ الأمازيغية مكانها الطبيعي في المنظومة التربوية، مؤكداً شرعيتها التاريخية وخلص المتناقشون إلى صياغة المطالب التالية :

أولاً : إدماج الثقافة الأمازيغية في الثقافة الوطنية، لأنه يجب أن تتحول ثنائية [العروبة والإسلام] إلى ثلاثية [الأمازيغية والإسلام والعروبة].

ثانياً : المطالبة بجعل اللغة الأمازيغية، لغة وطنية ورسمية.

ثالثاً : تعميم استخدام الأمازيغية في المحيط والإدارة.

رابعاً : التكوين بهذه اللغة وتكوين المكوِّنين.

وفي مجال آخر، استطلعت **صحيفة الجمهورية الجزائرية الصادرة بمدينة وهران**، آراء بعض الأحزاب حول الأمازيغية [1990/1/8] وفيما يلي آراء بعض الأحزاب :

أولاً : حزب جبهة التحرير الوطني (الحاكم) في وثائق المؤتمر الاستثنائي (28 – 1989/11/30) :

1. الهوية الثقافية العربية الاسلامية هي أساس الانتماء الحضاري وإطار التنمية الثقافية.
2. الإسلام هو عقيدة الشعب الجزائري.
3. اللغة العربية هي لغة الشعب الجزائري.
4. التراث الشعبي بلهجاته المختلفة رصيد مشترك للمجتمع الجزائري كله ينبغي المحافظة عليه وترقيته بما يخدم وحدة الشعب وإثراء الثقافة الوطنية.
5. التاريخ الجزائري بجميع مراحله ، كلٌ متكامل وحلقات منسجمة لا يجوز التمييز بينها.
6. الجزائر الواعية بالبعد العالمي لثورتها تستطيع التعامل مع الحضارات العالمية ومحاورتها من مركز قوة لاستيعاب الفكر العالمي، ولكنه يتعين عليها أن تتصدى للغزو الذهني والاستلاب الحضاري.

ثانياً : حزب التجديد الجزائري : إنَّ مهمة الثقافات المحلية أن تساهم في ترقية الإنسان الجزائري بعيداً عن رواسب الدونية. إن حزب التجديد يرفض رفضاً تاماً أن تتولى جماعة من الأفراد مراقبة الثقافات المحلية لحسابها لتتميز. فبعض الأحزاب تود

استغلال المسألة الأمازيغية لتميز نفسها. لقد عاش الرأي العام الجزائري التجربة القاسية لنظام الحزب الواحد فالأمازيغية من أهم الثقافات المحلية.

ثالثاً : حزب الطليعة الاشتراكية (الحزب الشيوعي) :

1. شخصيتنا الجزائرية إسلامية عربية أمازيغية.
2. البعد الأمازيغي يمثل جزءاً لا يتجزأ من الشخصية الوطنية الديمقراطية.
3. الحق في استعمال اللغة الأمازيغية (اللغة الأم) حق لا غبار عليه ونحن مع زيادة البث للقناة الثانية وتقويتها وتحسينها وتفتحها على كل مكونات الأمازيغية [قبائلية/شاوية/شنوائية/ميزابية/توارقية] فالقناة لا تسمع في كل المناطق القبائلية. هناك ملايين من الجزائريين والجزائريات لا يفهمون العربية والفرنسية.
4. نحن مع تدريس اللغة والحضارة الأمازيغية في التعليم الأساسي والثانوي والجامعات.

رابعاً : حزب الوحدة الشعبية :

نحن ننطلق من الإسلام والعروبة. أما باقي الدعوات العرقية واللغوية فهي تفتيت لوحدة الشعب والوطن. لسنا ضدّ أي حزب يطالب بالأمازيغية، لكن الأهم هو كيف نخرج من اقتصاد منهار الى اقتصاد قوي. ونحن ننظر لمسألة الثقافات الشعبية بأنها تراث تاريخي لا يمكن تجاهله نحن ضدّ القبلية والجهوية والطائفية.

خامساً : الحزب الاجتماعي الديمقراطي :

1. ثقافة المجتمع الجزائري هي منتوج ترسب من خلال تاريخ طويل ومشترك. لهذا ينبغي استخدام سياسة التعددية الثقافية، ولهذا

يفترض أن تطرح التعددية الثقافية على قاعدة البحث العلمي وليس قاعدة العداء والتنافر.

2. إنه من الضروري أن تتواجد الشخصية الجزائرية في كل تركيباتها البربرية والعربية والإسلامية ومن حق هذه العناصر التعبير عن نفسها، دون المساس بالوحدة الوطنية.

3. البربرية جزء لا يتجزأ من التراث الوطني الجزائري ولا يجوز لأية جهة احتكارها لنفسها.

2. 1. التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية [R.C.D.]

– ولفهم أعمق للمسألة الأمازيغية، بعيداً عن التهم المتبادلة، نقرأ بعض أفكار [**حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية** – R.C.D.] وهو أبرز الأحزاب المطالبة بإعتبار الأمازيغية لغة وطنية ويقود هذا الحزب الدكتور سعيد سعدي ونعود في هذه القراءة إلى **صحيفة التجمع في أعدادها التالية :**

العدد صفر والعدد الأول والعدد الثاني الصادرة عام ١٩٩٠

فمن هو سعيد سعدي؟

ولد سعيد سعدي في 1947/8/26 في قرية أغريب. تلقى علومه بثانوية عميروتش في تيزي وزّو. التحق بجامعة الجزائر العاصمة حيث درس تخصص [طب الأمراض العقلية]. وكان عضواً في النادي الأول للثقافة الأمازيغية في حي بن عكنون الجامعي عام 1968. تحالف عام 1978 مع جبهة القوى الاشتراكية [حسين آيت أحمد/علي مسيلي/عبد الحفيظ

يحيى] ساهم في تظاهرات الربيع الأمازيغي عام 1980، حيث اعتقل مع ثلاثة وعشرين آخرين من جبهة القوى الاشتراكية. وأفرج عنه في 1980/6/26. ساهم في مجلة تافسوت. ونشر رواية بالفرنسية عام 1982 بعنوان [عند أمد يازن]، ورواية بالأمازيغية بعنوان [سكوتي]. ساهم في الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان (1983 – 1985) واعتقل مع آخرين من الرابطة في 1985/8/21 في سجن تازولت، حيث حكم بثلاث سنوات وأطلق سراحه عام 1987 بعد أن قضى عشرين شهراً في السجن. وفي 9 و 10 شباط 1989 أي قبل صدور الدستور الذي سمح بالتعددية السياسية بأيام، أسس مع ثلاثة آخرين [التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية] وعين أميناً عاماً له. وفي المؤتمر الأول للتجمع الذي انعقد في 15 و16 ديسمبر 1989 بقصر الأمم في الجزائر العاصمة، انتخب أميناً عاماً للتجمع.

صدر العدد صفر من النسخة العربية لصحيفة [التجمع]، قبل انعقاد المؤتمر الأول، حيث حدّدت الصحيفة أهداف التجمع في افتتاحيتها الرئيسة على النحو التالي :

1. استقرار المجتمع المدني وتدعيم النظام الجمهوري باعتباره الكفيل بضمان التماسك والوحدة الوطنية.
2. الممارسة الفعلية للديمقراطية والتعددية السياسية باعتبارها التعبير عن السيادة الشعبية وتحقيق لها، في إطار دولة القانون.
3. إزالة العنصرية والقضاء على كل الأساليب التي تعتمد العنف أو تشجعه.
4. احترام الحريات الفردية والجماعية وحقوق الإنسان.

5. تبني سياسة لغوية مطابقة للحقائق الثقافية للبلاد والمتمثلة في **الإقرار بأن اللغة العربية واللغة الأمازيغية، لغتان وطنيتان ، وأنّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية.**

6. تبني سياسة ثقافية دينامية مستمدة من القيم الجزائرية الأصيلة مع الانفتاح على الحضارة العالمية.

7. ترقية الفاعلية الاقتصادية والحفاظ على البيئة.

8. بناء مغرب ديمقراطي بتحقيق التعاون والتعايش السلمي والمصالح المتبادلة.

ونقرأ في العدد صفر أيضاً رداً من **مقران نايت العربي** على تشويه جريدة الشعب (*1989/3/18*) لحوار أجرته معه. وجريدة الشعب مقربة من حزب جبهة التحرير. يقول مقران نايت العربي وهو أمين وطني في حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية بأنه لم يطالب بالغاء قانون الأسرة، لانه مستمد من الشريعة الإسلامية - كما زعمت جريدة الشعب - بل طالب بالغائه لأنه قانون مجحف بحق المرأة، فالقانون يجعل من المرأة الجزائرية [شبه مواطنة!!]. أما الدعوة إلى اللائكية [العلمانية] من قبل حزب التجمع فهي كما يقول لا تعني الدعوة إلى الإلحاد أو تجاهل إسلام الشعب الجزائري وإنما تعني عدم إقحام الدين في اللعبة السياسية، لأن الإسلام أسمى من ذلك. ويعني عدم استخدام الإسلام لأغراض إديولوجية أو مصالح الحكومات والأحزاب. أما بالنسبة لديباجة الدستور فنحن - يقول - نرفض صياغتها، لأن المجتمع الجزائري أمازيغي وعربي وليس عربياً فقط، كما أن الدستور لم يأخذ باقتراحاتنا في أن تكون العربية لغة وطنية ورسمية والأمازيغية لغة وطنية.

ثمّ تنشر صحيفة التجمع في عددها رقم صفر حواراً مع **الكاتب الجزائري الطاهر وطّار** [مستقل مقرّب من يسار جبهة التحرير الوطني]، قال فيه : المسألة الأمازيغية ليست عرقية فلا العربي ولا الأمازيغي ولا الفرنسي يعرف عرقه. إنه تخلف حضاري أن تطرح مسألة العرق بمفهوم بعثي. وتصرف السفارة العراقية في شؤوننا تصرف فلاح بدوي غير متحضر. فنحن منذ خمسة عشر قرناً عرب مسلمون ومع هذا احتفظنا باللغة الأمازيغية، لغة الأجداد. وأنا لا أقبل أن يطمس أحد لغة أجدادي رغم أنني عربي مسلم. صحيح أن العربية لغة القرآن ولغة المسلمين، ولكنها أيضاً لغة المسيحيين العرب. كما أن هناك مسلمين انجليز. وهذا معناه أنه لا صلة للغة بالدين. لا يمكن في الجزائر فرض نمط واحد من السلوك الاجتماعي. لقد كشفت أحداث اكتوبر 1988 – يقول وطّار – عن الوجه الوحشي لنظام عسكري بوليسي. وهذا لا يحتاج إلى كثير من الأدلة. ويكتب **الصحافي مجيد فرحاتي** مقالاً بعنوان [الوحدة في التنوع] قال فيه بأن الذين يحاربون اللغة الأمازيغية بالقول إنها لهجة، أقول لهم بأن اللسانيات الحديثة لا تميز بين اللغة واللهجة، فكلاهما تؤديان وظيفة اتصالية والفرق بينهما هو أن اللغة منتصرة سياسياً بدعم من السلطة المركزية، بينما نجد اللهجة مقموعة.

وتنشر صحيفة التجمع في العدد صفر مقاطع من [النظام الداخلي لحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية] -الخاص بالهوية الوطنية والتعددية اللغوية والثقافة والتعليم والدين والسياسة والعلمانية (اللائكية) نقتطف منه ما يلي :

أولاً : الهوية الوطنية : إنّ المجتمع الجزائري شأنه شأن الشمال الافريقي، أمازيغي تاريخياً. ورغم الغزوات المتعاقبة فإن الثقافة واللغة الأمازيغيتين استطاعتا الصمود. رغم أن السلطات المركزية المتعاقبة لم

تتكفل بهما، فمملكة ماسينيسا الأمازيغية اختارت اللغة [الكنعانية] القرطاجية. كذلك المالك الأمازيغية في العصور الأولى الوسيطة لم تجعل من الأمازيغية أداة سائدة في الحياة الثقافية والإدارية. لكن يكفينا فخراً أن نكون الناطقين حتى الآن لواحدة من أقدم اللغات المعروفة. فدون البعد الأمازيغي تبقى الجزائر معرضة للتصدع.

إن الطابع البربري والطبع الافريقي والعروبة والإسلام والعصرانية هي عناصر شخصية الجزائر التي تندرج في حضارة البحر المتوسط الذي إطار مستقبلها الطبيعي. وفي هذا السياق فإن المادة 3 من الدستور تتجاهل اللغة الأمازيغية، لهذا يجب أن يعترف الدستور بالأمازيغية، كلغة وطنية. فالبعد الأمازيغي ليس مجموعة من الرقصات الفلولكورية أو الأشكال الهندسية أو الحروف التي يجب التنقيب عنها في الحفريات لإدراكها.

ثانياً : التعليم والتعددية اللغوية : إنّ سياسية التعليم القهرية والطائفية قد الحقت أضراراً بالغة، أدت إلى جهل أولادنا، فهم لا يتقنون العربية أو الفرنسية، أما الأمازيغية فلا مكان لها في النظام المدرسي.

ثالثاً : الإسلام والعلمانية : إنّ الإسلام هو دين الغالبية العظمى من الشعب الجزائري. ومع تفاقم الأزمة الاجتماعية والاقتصادية، برزت محاولات استهدفت استعمال الواقع الديني كمناورة سياسية. ولا بدّ عندئذ من فصل السياسة عن الدين، إنّ حرية العبادة يجب أن يعترف بها وحرية إقامة الشعائر، كما أن التسامح يفرض احترام حرية الاعتقاد.

وصدر **العدد الأول من صحيفة [التجمع] في يناير 1990**، أي بعد انعقاد المؤتمر الأول لحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية. حيث نشرت الصحيفة البرنامج الكامل والنظام الداخلي للتجمع، كما

نشرت أسماء الأحزاب والجمعيات والسفارات التي حضرت المؤتمر الأول، فمن خارج الجزائر : وفد منظمة التحرير الفلسطينية ووفد جبهة البوليزاريو والحزب الاشتراكي الفرنسي. أما الأحزاب الجزائرية التي حضرت ودعيت للمؤتمر فهي :

1. حزب الطليعة الاشتراكية (P.A.G.S.).

2 جبهة القوى الاشتراكية (F.F.S).

3. الحزب الجزائري للشعب (P.A.P).

4. المنظمة الثورية للعمال (O.R.T).

5. المنظمة الاشتراكية الديمقراطية (O.S.T).

6. الحزب الاجتماعي الديقراطي (P.S.D).

7. حزب التجديد الجزائري (P.R.A).

8. حزب التضامن والتنمية الوطني (P.N.S.D.).

9. الحركة الديمقراطية للتجديد الجزائري (M.D.R.A).

10. اتحاد القوى الديمقراطية (U.F.D).

11. جبهة التحرير الوطني (F.L.N).

12. حزب الإنسان رأس المال (P.H.C).

أما السفارات التي حضرت المؤتمر فهي سفارات [فلسطين /فرنسا/ إيطاليا/ ألمانيا الاتحادية/ اليابان/ المغرب/ تونس/ السويد/ ألمانيا الديمقراطية/ النمسا/ الاتحاد السوفياتي/ الولايات المتحدة الأمريكية/ الهند/ البرازيل/ الأرجنتين/ بولونيا] وفق ترتيب الصحيفة.

ومن الجمعيات الجزائرية التي حضرت المؤتمر : 1. جمعية المساواة أمام القانون بين الرجال والنساء. 2. جمعية تحرير المرأة.

3 جمعية الدفاع عن حقوق المرأة. 4. حركة الايكولوجيين الجزائريين. 5. الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان. 6. جمعية المحامين الشباب في الجزائر العاصمة. 7. اللجنة الوطنية ضدّ التعذيب. 8. جمعية ضحايا أكتوبر. 9. الجمعية الوطنية للفلاحين المؤممين (بفتح الميم). 10. حركة الصحافيين الجزائريين. 11. حركة الجامعيين الديمقراطيين.

لعل هذه القوائم تمنحنا كقراء بعض الإيحاءات حول التوجه العملي للتجمع، فنحن نلاحظ أن فلسطين في راس هذه القوائم، بل سبق أن أصدر التجمع بياناً نشره في العدد صفر وهو مؤرخ بتاريخ 1989/11/15 بمناسبة الذكرى الأولى لإعلان الاستقلال الفلسطيني قالت فيه [**إن الشعب الفلسطيني قد اثبت أنّ التسامح والتعددية، قيم ضرورية يمكن تحقيقها حتى في مرحلة الثورة. بهذه الصفة فإن الشعب الفلسطيني قد قدّم لنا - نحن الجزائريين - اكثر مما أخذ منّا**]. ويمكن أن نلاحظ أيضاً أن القوائم توحي بالتوجه الأساسي نحو الديمقراطية. وبلغ عدد أعضاء المؤتمر الأول 996 عضواً يمثلون 44 ولاية إضافة لوفد المهاجرين. ومن بين أعضاء المؤتمر 93 امرأة. وقال سعيد سعدي أن أعضاء المؤتمر يمثلون 22 الف مناضل هم أعضاء التجمع. وتحت عنوان [المسألة الأمازيغية : تجاوز الغموض] نشرت صحيفة التجمع بياناً رسمياً للتجمع قالت فيه :

أولاً : الهوية الجزائرية = الأمازيغية + العربية + الإسلام.

ثانياً : العربية + الأمازيغية = لغتان وطنيتان.

ثالثاً : المسالة الأمازيغية = انشغال وطني ديمقراطي.

2 . 2 الربيع الأمازيغي - 1980 :

انفجرت المظاهرات في مدينة تيزي وزّو عاصمة منطقة القبائل في 1980/4/20. وقال التلفزيون الجزائري الرسمي [لقد أحرقوا القرآن والعلم] وصرّح وزير التعليم العالي [لدينا أدلّة تثبت تواطئهم مع المخابرات الأجنبية]، وقالت الصحف الرسمية [إنهم يريدون الانفصال بتشكيل دولة بربرية] و[إنهم حزب فرنسا] و[نطالب بعقاب صارم لعملاء الامبريالية وأعداء العروبة والإسلام]. وأعتقل أربعة وعشرون من قادة الحركة الأمازيغية، وحوكموا وسجنوا لمدة عشرين شهراً. هذه هي الرواية الرسمية عن مظاهرات ربيع 1980 في منطقة القبائل.

ويبدو أن جبهة القوى الاشتراكية بقيادة حسين ايت أحمد أحد زعماء الثورة الجزائرية هي التي كانت المحرّك لهذه الأحداث مع الحركة الأمازيغية الثقافية الشابة التي بدأت نوياتها تتشكل بشكل سرّي في جامعة الجزائر ،وجامعة تيزي أوزو. ومن جامعة تيزي وزّو انطلقت المظاهرات. لكن حزب التجمع والأحزاب الجزائرية التي تنتمي للتيار الديمقراطي تروي عام 1990 الأمر بطريقة معاكسة تماماً. لقد نتج عن أحداث ربيع 1980 - وفق التجمع - ما يلي :

أولاً : تعليم اللغة الأمازيغية بإشراف مولود معمري الروائي الجزائري الشهير وزيادة البرامج الإذاعية المراقبة، وظهور الأغنية السياسية سابقاً مع مطلع السبعينيات.

ثانياً : نشوء نويات لقيادات شبابية أمازيغية في مرحلة الثمانينيات.

ثالثاً : إزاحة القناع عن دولة الاستبداد بقيادة حزب جبهة التحرير الوطني.

رابعــاً : جاءت انتفاضة اكتوبر 1988 لزعزعة نظام ستاليني هرم. مكملة للربيع الأمازيغي، حيث فتح باب التعددية السياسية.

خامساً : ابتداءً مــن مؤتمر [أعكوران] وحتـــى انتفاضة اكتوبر 1988، أخذت قضية اللغة والثقافة الأمازيغية، بُعداً وطنياً. وكان من أبرز أهداف الحركة الأمازيغية، الاعتراف الرسمي باللغة الأمازيغية وإنشاء أكاديمية لتطوير اللغة وتدريس اللغة كمرحلة أولى في الجامعة، وإعادة الاعتبار لتاريخ الجزائر قبل الفتح الإسلامي.

سادساً : وكتب صحافي [ع مقراني] في صحيفة التجمع العدد الثاني - أبريل 1990 بأنه من أجل تطوير الأمازيغية، يقترح ما يلي :

1. إنشاء رابطة وطنية للجمعيات الثقافية.

2. إسناد رئاسة هذه الرابطة إلى شخصية لا تنتمي لأي حزب سياسي.

3 انتخاب مكتب وطني يضم رؤساء الجمعيات الولائية.

4. تكوين لجان متخصصة في مختلف فروع الأدب والمعرفة والعلوم لتطوير برامج التعليم.

أما الأحزاب الأخرى فقالت ما يلي في ذكرى الربيع الأمازيغي عام 1980 [أبريل 1990] :

أولاً : حزب التجديد الجزائري : لم يكن يوم 1980/4/20 يعني شيئاً لنا سابقاً، ولكن منذ ظهور الحركة الأمازيغية برز هذا التاريخ كنقطة انطلاق شعبية للمطالبة بالاعتراف بالثقافة الأمازيغية ونحن مع تعليمها بصفة حرّة وليس بصفة إجبارية.

ثانيـــاً : اتحاد القوى الديمقراطية : أحداث 1980 تدخل ضمن إطار الاحتجاجات والمظاهرات ضدّ النظام، توجت لاحقاً

بإنتفاضة أكتوبر 1988. فاللغة الأمازيغية وثقافتها جزء من الثـقـافـة الوطنيـة وهـي لغـة جـهـوية يمكن أن تُعلَم فـي الإطار الجهوي.

ثالثـاً : حزب الطليعة الاشتراكية : يرى أن يوم 20 أبريل 1980، يمثل قمة حركة الجماهير المتظاهرة في تيزي وزو. وهو نقطة تحول بالغة الأهمية لحركة الجماهير في نضالاتها الديمقراطية فقد كانت مظاهرات تيزي وزو الشـعبيـة الكبيـرة، تؤكد على ثراء الشـخـصيـة الوطنية بمكوناتها الثلاثة [الإسـلامـيـة والعـربيـة والأمازيغية].

رابعـاً : الحـزب الاجـتمـاعي الليـبـرالي : دلالة يـوم 20 أبريل 1980، كتعبير عن ثقافة عريقة أمازيغية، فنحن نؤيدها، أما أن تكون تعبيراً عن ميول وسياسة جهوية خاصة بمنطقة معينة فنحن ضدّ هذا. إن تعليم اللغة الأمازيغية لا يمكن أن يتحقق لأن الأمازيغية لهجة من البربرية. ونحن نوافق على إنشاء أكاديمية بشرط عدم تدخل قوى أجنبية.

خامساً : الحـزب الاجـتمـاعي الديمقراطي : أحداث 1980 عبرت عن رغبـة منطقـة من الـوطن في هـوية وثقـافـة مـعـينتين. ويرى أن السياسة الثقافية يفترض أن تعبر عن تنوع الثقافات الجهوية.

وقـال **حـزب التـجـديد الجـزائري** أيضـاً بأنه **يأسف كل الأسف على أن يصبح الدفاع عن الثقافة الأمازيغية ذريعة للدفاع عن أفكار مناهضة للتطلعات الإسلامية للشـعب الجـزائري**، فـمن بين أنصـار هذه القـضـيـة، هناك أشخاص يسعون إلى القضاء على الطابع الإسلامي العربي لهذه الأمة ومحاولة تبديله بطابع أوروبي لاتيني.

2. 3. العربية وطنية ورسمية والأمازيغية وطنية :

بعد هذا العرض لمواقف بعض الأحزاب الجزائرية، نصل إلى خلاصة أولية نجملها فيما يلي :

أولاً : تتفق الأحزاب على أن الإسلام والعروبة والأمازيغية، عناصر أساسية في الهوية الجزائرية، وأنّ تاريخ ما قبل الإسلام لا يتناقض مع التاريخ الإسلامي في الجزائر. لكنها أي الأحزاب تختلف في ترتيب هذه العناصر.

ثانياً : هناك اتفاق تام حول اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية. لكن الأحزاب الديمقراطية تضيف اللغة الأمازيغية كلغة وطنية. بينما ترى أحزاب أخرى (جبهة التحرير الوطني) أن الأمازيغية مجرد [ثقافة شعبية] أو [لهجة – لهجات] لم تصل بعد إلى مستوى اللغة.

ثالثاً : ترى بعض الأحزاب أن الأمازيغية عامل وحدة وطنية وليست عامل فرقة، وأنها أداة تواصل مقموعة من قبل السلطة وأنه يمكن ترقيتها وتطويرها إلى مستوى اللغة، إذا أتيحت لها أمكانيات الدعم من السلطة والمنظومة التربوية. وتقول : إنها لغة ينطق بها ملايين من الجزائريين والجزائريات الذين لا يتقنون العربية والفرنسية.

رابعاً : ترى بعض الأحزاب أن الأمازيغية لغة مناطقية جهوية يمكن تدريسها في المناطق الناطقة بها فقط. وترى أن حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية يستغل المسألة الأمازيغية لأسباب سياسية وجهوية، بل من أجل مناهضة الإسلام والعروبة لصالح اللغة الفرنسية.

خامساً : جبهة القوى الاشتراكية [حسين أيــت أحمد] والتجمع هما الحركتان الرئيستان المطالبتان بترقية اللغة الأمازيغية. من أجل الديمقراطية. ويلخص حزب التجمع في نظامه الداخلي قضية الأمازيغية على مستوى الهوية هي [الأمازيغية + العربية + الإسلام] وعلى مستوى اللغة [العربية والأمازيغية لغتان وطنيتان]، ويرون أن المادة 3 من الدستور تتجاهل الأمازيغية كلغة وطنية. كما يقرون بأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية. أما بعض تصريحات بعض قادة الحركة الأمازيغية المتطرفة فهي تصريحات فردية، تقابلها تصريحات فردية واتهامات من قبل أنصار التعريب. وهي جميعها تقع في إطار تبادل التهم.

سادساً : جذور الحركة الأمازيغية تعــود إلى الستينيات والسبعينيات انطلاقاً من أراء بعض الكتاب الجزائريين [كاتب ياسين ومولود معمري ومولود فرعون]، لكن البداية الفعلية للحركة كانت بقيادة جبهة القوى الاشتراكية واليسار الجزائري منذ الربيع الأمازيغي عام 1980، ثم تلتهامرحلة العلنية التي طالبت فيها الأحزاب الديمقراطية بعد أكتوبر 1988 بالاعتراف بالأمازيغية كلغة وطنية وفي هذه المرحلة اعتباراً من عام 1989 برز حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية.

سابعــاً : تباطؤ اعتراف حزب جبهة التحرير (الحزب الحاكم) بالأمازيغية كلغة وطنية جعل أنصار الأمازيغية يلقون بالغموض حول آلية كتابة الأمازيغية بالحروف العربية أم بالحروف اللاتينية. وجعل أنصار الأمازيغية يحولون المسألة للمختصين في اللسانيات الحديثة، وهذا معناه الميل غير المعلن لاستعمال الحروف اللاتينية وهو أمر يرضي التيار الفرانكوفوني السائد

في أوساط السلطة الجزائرية والحركة الأمازيغية معاً. لكنه يباعد بين العرب والأمازيغ.

3. المثقفون وإشكاليات التعددية اللغوية في الجزائر

يتساءل يوسف مناصرية [جامعة قسنطينة - جبهة التحرير الوطني]، هل الحركة البربرية استعمارية أم وطنية أم عصبية؟؟. ويرى أنَّ العصبية في منطقة القبائل، بينما نجد [الشاويَّة] في الشرق الجزائري يعتبرون أنفسهم [بربراً عرَّبهُم الإسلام] و[لا يفرقون بين العربي والمسلم]. وقال بأن الاستعمار الفرنسي ركّز على منطقة جبال جرجرة في منطقة القبائل بتأسيس مدارس تبشيرية مسيحية منذ 1873 وتأسيس مدارس لتعليم اللغة الفرنسية. وقد حارب الفرنسيون اللغة العربية في المساجد خاصة في الجامع الكبير في العاصمة الذي كان يشرف عليه مصطفى الكبابطي سنة 1843م. كما عمل الفرنسيون على إحياء اللهجات الجزائرية القديمة [القبائلية/الشاوية/التارقية] ووضعوا لها القواميس بحروف وكلمات لاتينية. وانشأت فرنسا كرسياً في الجامعة الجزائرية للغة العربية العامية. وكان المستشرقون من أبرز غلاة هذا الاتجاه الاستعماري. واعتمدت فرنسا ما يُسمَّى بالسياسة البربرية لفصل البربر عن الإسلام والعروبة. وركزت على الدراسات السلالية لتعميق الهوة بين فئات المجتمع الجزائري. وتظاهر المفتشون الفرنسيون في الجزائر في جويلية 1954، ضدَّ تدريس [العربية العامية] في الإدارة والتعليم من أجل إلغاء اللغة الفصحى نهائياً. أما أبو القاسم سعد الله [جبهة التحرير الوطني] فيغوص في التاريخ أيضاً قائلاً : إنّ البربر كانوا قبائل عديدة وكانوا تابعين لإحدى الدول الكبرى التي حكمت الجزائر [روما

وقرطاجنة] ولم يعرف التاريخ أنَّ البربر قد توحدوا في أمه أو دولة، حتى أنَّ قيام مملكة نوميديا كان يعتمد على التوازن بين القوتين الأعظم [روما وقرطاج]. كذلك لم يستعملوا لغة واحدة بحروف معروفة، رغم أن الدولة الأولى التي تعايشوا معها هي [قرطاجة مخترعة الأبجدية الأولى] والدولة التي تربطهم بها صلة الرحم والوطن، على افتراض اعتماد الرأي القائل بأن البربر كنعانيون. كما أن [التيفيناغ] وهي كنعانية فينيقية على الأرجح لم تكن رموزاً مشتركة بين كل البربر. وهكذا كان البربر حتى الفتح الإسلامي – يقول سعد الله – بدون لغة مكتوبة مشتركة، أي أنهم ظلوا حتى القرن الثامن الميلادي بدون تراث مكتوب بلغتهم أو لغاتهم. وكان أدباؤهم يكتبون بلغات الدول المتسلطة [القديس أوغسطين ويوبا الثاني كانوا يكتبون بالاغريقية أو اللاتينية]. وبعد الفتح الإسلامي اندفع البربر لاعتناق الإسلام حيث أصبحت العربية هي لغة الكتابة عندهم. أما طول المدة الزمنية لاعتناق الإسلام لدى البربر فيعود إلى بعد المسافة عن مركز الخلافة. ولكنهم، ظلوا يتكلمون لهجاتهم البربرية ويكتبون بالعربية. فأصبحت العربية لغة الإدارة والتعليم والمعاملات بينما بقيت البربرية تستعمل في البيت والسوق. وقد تعرب قسم كبير من البربر. فالمؤرخون لم يحلوا لغز خطبة طارق بن زياد الشهيرة، هل كانت بالعربية أم البربرية، هل كانت شفوية أم مكتوبة؟!! وقد شاع أن ابن تومرت ألف كتابه [أعزّ ما يُطلب] بالبربرية. وآخر ما قامت الجهات الاستعمارية هو وضع أبجدية بالحروف اللاتينية للبربرية لإبعادها عن أختها اللغة العربية التي استعملت حروفها منذ أربعة عشر قرناً. ويشير أبو القاسم سعد الله إلى كتاب [الحوض] لمؤلفه محمد بن علي بن ابراهيم السوسي وهو كتاب في الفقه. ألفه السوسي بالبربرية وبحروف عربية. وقام بنشر نصه مع ترجمة فرنسية المستشرق الاستعماري الفرنسي دونيس

لوسياني في [المجلة الأفريقية 1896 – 1897].والسوسي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي وهو من علماء السوس ويرى لوسياني – كما يقول سعد الله – أنّ الكتاب تم تأليفه بين 1707 – 1714م.

أما **واسيني الأعرج** [يسار جبهة التحرير الوطني] فيتحدث عن [إشكاليات اللغات في الجزائر : أزمة إقصائية أم مأزق الحل البيروقراطي] فيقول : إنّ الكثيرين ممن يدافعون عن اللغة العربية في البيانات السياسية والقرارات، لايمتلكون القدرة الثقافية والمعرفية لهذا الدفاع. فاللغة العربية موجودة على ألسنة الناس وفي حواراتهم اليومية. والمشكلة ليست كما يدعي هؤلاء في [حزب فرنسا] فهي تسمية فارغة، ولكنها تكمن كذلك في [حزب بعض انصار التعريب] الذين اختبأوا وراء الشعارات وبدأوا يمارسون عجزهم فاللغة العربية ليست بحاجة إلى جمعيات وبيانات سياسية وإنما تحتاج إلى عقل ينوّرها ويطورها لكي تتجاوز المعوقات الحداثية وتصبح لغة الحياة اليومية والتواصل والتسامح، تحتاج إلى أفق الحرية وتعدد التصورات ولا تتجدد إلا بانفتاحها على الغير من أجل ترميم النقص. أما المأزق الثاني أمام اللغة العربية فهو أن كثيراً من [الحركات الظلامية] جعلت نفسها وصية على اللغة العربية بعد أن بسطت جناحها على الدين الحنيف البسيط لفئة المعرّبين المبدعين أو الذين يشتغلون في الميدان الفكري واعتقد أن اللغة العربية – يواصل الأعرج واسيني – يجب أن تخرج من دائرة السجالات السياسية والايديولوجية. ولا بُدّ من فصل الدين عن اللغة. وهذا الفصل ضروري لأنه يضع اللغة خارج إطار التقديس المفترض. فلا توجد لغة مقدسة ولغة غير مقدسة. فاللغة العربية إضافةً لكونها لغة القرآن الكريم، هي لغة الشعر والابداع، ولغة الحياة اليومية ولغة العصر. فاللغات تندثر، عندما تفقد إمكانيات التواصل مع الحياة. والشيء نفسه يمكن أن يقال

عن اللغة الأمازيغية التي تحولت مثلها مثل اللغة العربية إلى مجال للمزايدات الحزبية السياسية. فالأمازيغية لم تأت من كوكب المريخ وإنما ولدت في الوطن الجزائري وهي تتعرض كالعربية للحلول الإقصائية البيروقراطية. فالعقل البيروقراطي يلجأ إلى حل تعريب الأمازيغية بدلاً من التعامل مع خصوصيتها وتمايزها انطلاقاً من معطيات الواقع بإقصاء هذه اللغة وباختزال المشروع الثقافي التعددي في مجموعة من القرارات والضوابط البوليسية، التي لا تقدم حلاً. نحن بحاجة - يقول واسيني الأعرج - إلى حوار وطني شامل متفتح ضمن أفق التعددية والخصوصية بعيداً عن المبارزات الحزبية. فالمسألة اللغوية مسألة استراتيجية في تطور الأمة.

ونشرت مجلة المسار المغربي الجزائرية [جوان 1989] ندوة حول [الواقع اللغوي والثقافي في الجزائر] شارك فيها : محفوظ قدّاش (مؤرخ) ونور الدين سعدي (محام) ويوسف سبتي [كاتب وشاعر] وفرحات مهني (مغن) ومحند بري بلقاسم وشوقي صالحي [يساريان]. وفيما يلي مقتطفات من أقوالهم في هذه الندوة التي استغرقت حوالي 12 صفحة من المجلة. يقول **نور الدين سعدي** : هناك في واقع الأمر لغة فصيحة عربية. وهناك لغة عربية شعبية [دارجة جزائرية]. وهناك البربرية وهي ليست محصورة في منطقة القبائل. ولكنها تجري على السنة سكان [القبائل - الأوراس - الغرب الجزائري - الجنوب - الصحراء الوسطى - غرداية . الهوقار - الطاسيلي...الخ]. وهناك اللغة الفرنسية التي هي ثمرة التغريب الثقافي الاستعماري. وعلم اللسانيات يعارض ترتيب اللغات. فهناك لغات مكتوبة وهناك لغات أضاعت كتابتها وهناك لغات لم تكتب أصلاً وهي مع ذلك فهي لغات، أي نظام وأداة تخاطب وتوصيل. ونحن ما زلنا نتوهم أن العربية الدارجة (العامية) بأنها

اصطناع مدرسي استعماري!! لكي تواجه اللغة الفصحى. وما زلنا نسير وفق الخرافة القبائلية التي شاعت بين 1869 و1880م بمقابلة القبائلي الطيّب بالعربي السيء. ولكن الحقيقة تقول أن الواقع الجزائري متعدد الألسن. ما هو مفهوم اللغة الرسمية؟ وما هو مفهوم اللغة الوطنية؟ ومن يقرر ذلك؟.

ويقول **يوسف سبتي** : المشكلة اليوم ليست قائمة بين العربية والبربرية فبينهما تداخلات تاريخية في غاية الأهمية. **المشكلة اليوم هي في جاذبيتنا التاريخية إزاء فرنسا**. فالقول بأن البربرية لغة ثانوية غير صحيح. والإنصاف يقتضي إدماجها في المؤسسات الوطنية بمنحها ضمانات الحماية والتنمية والتطوير. أما **محنَّد بري بلقاسم** فيقول : نحن من حيث الهوية بربر وعرب ومسلمون في آن واحد. وقد تحدث الميثاق الوطني الذي صوبق عليه سنة 1976 عن يوغورطة وماسينيسا... وغيرهم. ولكن لا أحد ينكر المحصلة العربية في المجال الثقافي [اسمعوا أغنيــة المغني الأمــازيغي آيت منقــلات عن طارق بن زياد]. إنّ الذين تعرضوا للمسألة اللغوية والثقافية في الجزائر ينتمون إلى مدرستين في عهد الاستعمار وبعد الاستقلال : مدرسة تنتمي إلى عصر الانحطاط [عصر الأزهر والزيتونة] ومدرسة تنتمي للفرنسية التي لا تقل خطراً علينا. وهنا أوافق على القول إن المشكلة فرنسية.

فنحن مــا زلنا نؤكـد أمـازيغـيـتنا وإســلامنا عن طريق إيديولوجية فرنسية موروثة عن الثورة الفرنسية. وهكذا وجدنا أمازيغيتنا مقتولة ومحطمة ووجدنا إسلامنا منحطاً بسبب هيمنة الطرق الصوفية التي حوّلت الإسلام إلى دين مرتبط بالتخلف وبعيد عن عناصر الحيــاة والتقدم. ووجدنا عند إعلان الاستقلال دولة عسكرية. ومن المؤسف أننا نعيش مناقشات عرجاء فالبعض يضع البربرية في مواجهة

العروبة والإسلام. وهناك من يستورد العروبة الإديولوجية من بغداد ودمشق والقاهرة ليعارض بها البربرية. إنني أعتقد أن التناقض الأساسي هو مع اللغة الفرنسية المفروضة علينا بالحديد والدم والنار وهي لغة اقتصادية وثقافية وإديولوجية.

أما **المؤرخ محفوظ قدّاش** فيقول : أرى أن أصالتنا هي اللغة البربرية التي أضيفت إليها اللغة العربية في وقت لاحق. فهاتان اللغتان هما الآن تعبران عن أصالتنا. وأنا أرى أن العامية العربية الجزائرية هي عامل إثراء وتطوير للغة العربية الفصحى. ولست ممن ينكرون على اللغة البربرية طابعها الوطني فهي مستعملة في البلاد وهي وطنية جهوية. وأرى أن كتابة البربرية بحروف عربية عامل تقريب. ولا أرى مانعاً في إجراء تجارب أولية، لجعل التعليم في مرحلته الابتدائية مزدوجاً [عربية وبربرية] في المناطق الناطقة بالبربرية، على أن تدرس لاحقاً في كل مدارس الجزائر. وأنا أخالف القول الشائع بأن التعريب فرض فرضاً منذ إعلان الاستقلال 1962، بل العكس. فالحركة الوطنية الجزائرية [حزب نجم شمال افريقيا - حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية - حزب جبهة التحرير الوطني - الحزب الشيوعي - جمعية العلماء المسلمين - اللجنة الثورية للوحدة والعمل]، طالبت بالتعريب واللغة العربية والحصيلة منذ الاستقلال ليست ضعيفة كما يزعم البعض.

ويقول **فرحات مهني** بأن اللغة البربرية من الناحية التاريخية كتبت بثلاثة أنماط من الحروف الهجائية : التيفيناغ والحروف الهجائية الليبيّة والحروف الهجائية العربية وأخيراً، الحروف الهجائية اللاتينية. وهو يرى أنّ الطريقة العملية، هي طريقة الحروف الأبجدية الدولية أي الحروف الاغريقية اللاتينية. ويتساءل **نور الدين سعدي** : لماذا لم ينشر كتاب

النحو البربري الذي أعده الراحل مولود معمري؟؟. ويقول **صالحي شوقي** إن الحركة الوطنية قد حددت فعلاً الرجوع إلى اللغة العربية. لكن كانت هناك خصومات بين تيار العروبة والإسلام وتيار النزعة الجزائرية [أزمة 1949 في حزب الشعب الجزائري مثلاً] . ويقول **يوسف سبتي** : أنا أتحدث بالعربية والفرنسية، ولكن في حديثي شيء من البربرية، أنا جزء من هذه البربرية، ونجد البربرية في منارات المساجد وفي أسلوب كتابة اللغة العربية والعيش بها. ويقول **نور الدين سعدي** : لقد بذلت مجهودات كبيرة لتحديد الهوية البربرية منذ [ملتقى إعكوران، 1980] وورد في وثائقه بالحرف [إنّ الحركة الثقافية البربرية تنبذ الدوغماتية القطعية وتحديد ما كانت عليه الثقافة الجزائرية انطلاقاً من الخارج وانطلاقاً من تحديدات معينة]، بمعنى رفض معارضة الانتماء العربي الإسلامي بالبربرية. وأكدت وثائق إيعكوران، بأن [تمازيغت] هي اللغة التاريخية الأساسية للبلاد. لكن هناك لغة عربية فصحى مُسَلَّم بها]. ونحن نتفق بشكل عام على أن اللغة العربية هي لغة توحيد، لأنها الخلاصة الجوهرية للجزائر. وأن [تمازيغت] ليست لغة التاريخ ولكنها لغة حية رغم أنها غير مكتوبة. هناك كتابات يمكن تطويرها. وقد شهدت ملتقى لمثقفين بربر من المغرب الأقصى، حيث سجلت البربرية بحروف عربية. ومشكلة الحروف لا تحرجني إذا ما أزيحت عنها المفاهيم الاستعمارية.

ويقول **فرحات مهني** إن حزب الطليعة الاشتراكية (الشيوعي) ندد عام 1980 بملتقى إيعكوران، بينما رحّب بملتقى الفكر الإسلامي. فرد عليه **نور الدين سعدي** : لقد طرح الحزب الشيوعي الجزائري المشكلة الأمازيغية منذ الاستقلال عام 1962 وطرحها عام 1976 و 1977 قبل أن تطرحها جبهة القوى الاشتراكية. وعليك إعادة قراءة وثائق الشيوعيين.

وقال **شوقي صالحي** أن الرجوع إلى الأفرقة والمتوسطية هو طريقة من طرق الهروب من الانتماء العربي الاسلامي. ولكن من الذي يقرر أن الجزائر بلد [عربي مسلم] والجواب هو أن يكون للإنسان الحق في حرية الاختيار في أن يكون له انتماء مخالف لقد قال أحد رفاق مؤتمر إيعكوران [نحن نتحدث بالامازيغية، ولا يهمني إن كنت منحدراً من نسل جندي روماني أو غيره، المهم هو أنني الآن أمارس الأمازيغية].

وفي حوار صحافي مع **جريدة المساء الجزائرية** [1990/1/9]، **اجرته تسعديت بالحسين مع عبد النور عبد السلام، أستاذ الامازيغية وعضو المجلس الوطني لحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية**، نجد مجموعة من الإجابات المعرفية المفيدة نلخصها فيما يلي :

أولاً : يرى عبدالنور أن الأمازيغية من أقدم اللغات الانسانية [شمال افريقيا والنيجر ومالي وجزر الكناري]، أما حروفها الأصلية فتسمى [التيفيناغ] المتفرعة من اللغة الليبية، ولكنها لم تستعمل في الإدارة والديبلوماسية حتى في عهد مملكة ماسينيسا البربرية. لهذا ظلت لغة شفهية، لكنها بقيت محتفظة بكل ثرائها وقواعدها النحوية كما قال الراحل مولود معمري. وهذا يعود لعدة أسباب منها : خاصيتها الشفهية ولأنها لغة نابعة من الشعب وانفتاحها على اللغات الأخرى

ثانياً : يبرر عبد النور سبب استعمال الحروف اللاتينية في كتابة الأمازيغية بالتاكيد على أن اتفاق واجماع علماء اللسانيات على هذه الحروف التي أصبحت دولية [أملته الضرورة، لأسباب لغوية وتقنية] موضحاً أن الأمر هنا لا يتعلق بإختيار نظام كتابة أو

حروف معينة على أساس عاطفي أو سياسي بقدر ما يتعلق بمراعاة مصلحة هذه اللغة على استدراك مافاتها والالتحاق بركب التطور والعصرنة فالاختيار من اختصاص علماء اللسانيات لأسباب علمية.

ثالثاً : يشير عبد النور إلى مجموعة من الوثائق والمؤلفات بالأمازيغية الموجودة في مركز التوثيق [الإربعاء ناث ابراثين] تتناول التاريخ والجغرافيا والأدب والجيولوجيا ويرجع تاريخ تأليفها إلى مراحل ما قبل وخلال وبعد الثورة الجزائرية وهي مكتوبة بحروف لاتينية. ومنها : 1. **سعيد بوليفة** الذي جمع سنة 1900 قصائد الشاعر الشعبي الأمازيغي [سي محنّد أو محمد]. 2. **بلعيد أيت علي**، أول من ألف كتاباً أدبياً بالأمازيغية يقع في 430 صفحة، وهو منشور سنة 1961م. 3. وبعدهما جاء الأديب **مولود فرعون ومولود معمري**. ثم جاء في الثمانينيات الباحث **سالم شاكر** والباحث **رمضان عشّاب وسعيد سعدي** الذي كتب بالأمازيغية روايته [سكوتي]. وكان مولود معمري قد أنجز كتاباً في النحو الأمازيغي في السبعينيات. فنظام الكتابة بالأمازيغية موحدعلى المستوى الوطني اليوم (1990).

رابعاً : أشار عبدالنور إلى أن هناك دعوة لملتقى وطني في الجزائر لبحث الوسائل الكفيلة بإنشاء أكاديمية اللغة الأمازيغية بإعتبارها المؤسسة الوحيدة الكفيلة بتقرير نظام كتابة نهائي موحد للأمازيغي، وترسيم التقنيات والقواعد الخاصة بهذه اللغة وإعدادها للتعليم. وطالب عبد النور برفع الشلل الدستوري الخاص بالمادة الثالثة من الدستور بضرورة الاعتراف دستورياً بالأمازيغية.

ويكتب المثقف الجزائري **نبيل فارس في مجلة تافوست، تيزي اوزو ديسمبر** 1983 مقالاً عن المسألة الأمازيغية يقول فيه : قضية الأمازيغية ليست معزولة على الصعيد اللغوي عن المسائل الأخرى كالعلوم الاجتماعية، وأشكال التفكير والمنطوق والنتاجات المادية والثقافية. لهذا لا يمكن اختزال قضية الأمازيغية في مسألة بسيطة كاللغة أو التعليم، بل الانطلاق من ظاهرة الشفوية إلى التدوين لتحليل الأشكال الثقافية المتعددة.

ويكتب **سعيد صادي وسالم شاكر في مجلة تافوست عام** 1983 مقالاً مشتركاً عن الحركة الثقافية الأمازيغية في الجزائر، جاء فيه : لم تتمكن مرحلة التحركات الجماهيرية عام 1980 من إنجاز التفكير التقدمي النوعي ولكن بلا شك أن مناظرات ملتقى إيعكوران كان مناسبة لطرح بعض الأفكار الأساسية لانتاج أول خطاب شعبي أمازيغي مضاد في الجزائر. وقد برهنت الأحداث أنه لا أمل يرجى من الحزب الحاكم والدولة فيما يخص المسألة الأمازيغية. فقد ووجهت كل المبادرات الأمازيغية بالرفض والقمع. وبالرغم من بعض المناورات والخطب التفاخرية فقد بقيت الأمازيغية موصومة بوصمة اللاشرعية في الجزائر. بل إن تهميشها وفلكرتها أصبحا قيد التنظير في إطار المذهب الرسمي للحزب الحاكم والدولة. وفي أفضل الحالات يقترحون الحلّ المتحفي. وفيما يلي نقدم إطاراً عاماً لحل المشكلة :

أولاً : الأمازيغيون والناطقون بالأمازيغية : الأمازيغية لغة جزء هام من السكان في الجزائر والمغرب. وقد جاء العرب الفاتحون بالإسلام واللغة العربية مما نتج عنه تعريب جزئي للمغرب الكبير وجعل الجزائر مزدوجة اللغة. لقد تعرضت الثقافة واللغة

الأمازيغيتان لقمع الاحتلالات الأجنبية المتعاقبة بلغاتها [البونيقية واللاتينية والعربية والفرنسية]، مما أدى إلى تهميش اللغة الأمازيغية وعدم استعمالها.

ثانياً : الإسلام والوطنية : إن إسلام الأقطار المغاربية قد ساهم فيه الأمازيغيون أنفسهم ولم يكن مفروضاً عليهم. بل إن الأمازيغ لعبوا دوراً عالمياً في انتشار الإسلام. فالبعد الإسلامي للأقطار المغاربية واقع بديهي تتشكل منه الثقافة الأمازيغية.

ثالثاً : الجزائر المستقلة والمسألة الأمازيغية : ظلّ التيار الأديولوجي العربي الإسلامي في حزب جبهة التحرير الحزب الحاكم، الذي استورد الإيديولوجيات الاستبدادية والظلامية من المشرق العربي، يمارس الهيمنة والاحتكار للحياة السياسية والثقافية في البلاد متجاهلاً قيم التسامح الإسلامية، مستخدماً عروبة إديولوجية قامعة للثقافة واللغة الأمازيغية، برفض الأمازيغية، مؤكداً على الطابع العربي والإسلامي (فقط) للجزائر.

رابعاً : أهداف الحركة الأمازيغية : 1. منح صفة الوطنية للغة الأمازيغية على قدم المساواة مع العربية. 2. العناية والتطوير للثقافة واللغة الأمازيغية. 3. احترام الخصوصية الثقافية واللغوية لكل المناطق الناطقة بالأمازيغية بتعميمها في التعليم المدرسي والحياة.

خامساً : إطار عمل الحركة الأمازيغية : ليست الحركة حزباً سياسياً، إنها تجمع مفتوح للجزائريين الذين لا يجدون أنفسهم لا في الهوية الرسمية ولا في نموذج المركزية الاستبدادية. وهي حركة ديمقراطية تتضامن مع كافة المطالب المجتمعية الشعبية.

1.3 مناقشات وملاحظات

أعتقد أنني قدّمت مساحة ديمقراطية كافية لعينة قوية من الآراء لبعض المثقفين الجزائريين سواءً أكانوا مع الأمازيغية أو ضدّها، ومن الطبيعي أن أقول إنني أوافق على بعض الاجتهادات ولا أوافق على غيرها. وفيما يلي بعض الملاحظات :

أولاً : اللغة الأمازيغية متعددة اللهجات وهي قابلة للتطور إلى لغة راقية كالعربية وكتابتها بالحروف الطوارقية [التيفيناغ] هوالأصل، فالمفرد المذكر هو كلمة [أفينيق] مما يوحي فوراً بكلمة فينيقيا، وهذا يدلل على أنّ الأرجح أن اللغة الأمازيغية [كنعانية قرطاجية]، ولم تكن الكنعانية القرطاجية الفنيقية لغة غزاة، لأن القرطاجيين الفنيقيين هم الموجة الثانية من الكنعانيين. وبما أنّ أصل البربر الحقيقي هو أنهم [كنعانيون فلسطينيون ولبنانيون على وجه التحديد]، فإنّ السكان الأصليين للجزائر [البربر الأمازيغ] أي الموجة الأولى الكنعانية استقبلوا أشقاءهم الكنعانيين الفنيقيين ليس كغزاة، بل بصفتهم استكمالاً للموجة الأولى. ومن الطبيعي بعد ذلك أنهم امتزجوا بالرومان والإغريق واللاتين. فالأصل أن تكتب الأمازيغية بحروف التيفيناغ التواركية الكنعانية القرطاجية الفنيقية، وأصل هذه الحروف يعود الى الكنعانية الفنيقية والعربية اليمنية الجعزية.

ثانياً : بما أنّ الأمازيغية في تفاعلها مع اللغة العربية، طيلة خمسة عشر قرناً قد امتصت آلاف الكلمات والصيغ، كذلك تأثرت العربية العامية الجزائرية، بالصيغ الأمازيغية، فإنّ الحل الثاني المقترح هو أن تكتب الأمازيغية بحروف عربية لعدة أسباب منها :

1. اللغة ليست محايدة والحروف وشكلها ليس محايداً، فكتابتها بحروف عربية يساهم في التقارب الأخوي بين العرب والأمازيغ من الناحية الوطنية والسايكولوجية.

2. لم يعد الإعلام الآلي [الإنفور ماتيك] عائقاً أمام الحروف العربية في ظل ثورة المعلوماتية والإتصال. والواقع الحالي يؤكد ذلك.

ثالثاً : **الحل الثالث القهري** : هو حل كتابتها بالحروف اللاتينية، فالمثقفون الجزائريون يجمعون أنَّ الحرف اللاتيني حرف إديولوجي لأنه يوحي بكل بساطة بالإحالة الثقافية إلى لغة المستعمر الفرنسي أي الفرنسية، لأنّ الفرنسية كانت، وما زالت لغة قهرية في حالة الجزائر بالتحديد، على عكس استخدام الانجليزية والفرنسية في المشرق العربي.كذلك يحيل الحرف اللاتيني تاريخياً إلى الاستعمار الروماني والاغريقي واللاتيني للجزائر. أما الزعم بعالمية الحرف اللاتيني كما يرى بعض المتعصبين من أنصار الأمازيغية، فهذا الزعم نابع من عقدة [التلذّذ بالتبعية] للغرب. ومن عقدة [كره الجلاّد وعشقه في أن واحد].

رابعاً : هناك إجماع ثقافي جزائري [عربي وأمازيغي]، على أنَّ الإسلام موجود في الجزائر منذ خمسة عشر قرناً، بإختيار واقتناع طبيعي، بل ساهم الأمازيغ أنفسهم في توسيع هذا الاختيار [فتح اسبانيا مثلاً] عالمياً. ولم يفرض الإسلام فرضاً بالقوة. اما طول الفتح الإسلامي زمنياً من الناحية التاريخية، فهذا يعود إلى بعد المسافة عن مركز الخلافة. وبالتالي لم تفرض اللغة العربية على

السكان الأمازيغ، لهذا كانت الكتابة منذ خمسة عشر قرناً بالعربية والكلام بالعربية والأمازيغية. وكان خيار الدولة الجزائرية المستقلة عام 1962 هو خيار الحركة الوطنية الجزائرية بفرعيها العربي والأمازيغي، بجعل العربية لغة وطنية ورسمية ولم تكن محصلة التعريب سيئة كما قال محفوظ قدّاش المؤرخ الجزائري.

خامساً : يبدو أنّه منذ الاستقلال، اتصفت عملية التعريب بالتجريب العشوائي مما أدى إلى الفشل في كثير من مجالات التعريب (الإدارة مثلاً). ويرى بعض المثقفين الجزائريين أن سبب ذلك يعود إلى هيمنة التيار السياسي السلفي (التقليدي) في حزب جبهة التحرير الوطني، الحزب الحاكم، على برنامج التعريب بربطه بالمفاهيم التقليدية في اللغة العربية، مما ساهم في تخلف اللغة وتأخير التعريب واحتكار اللغة العربية وعزلها في مساحات إديولوجية سياسية. وجعلها مجالاً للصراع بين الأحزاب السياسية، وفق مصالحها. وخلق أعداء لها. ومن هذه التيارات :

1. الجناح الإسلامي التقليدي في جبهة التحرير الوطني (الحزب الحاكم).

2 الجناح القومي العروبي [البعثي] التقليدي، وهو عبارة عن مجموعات من المثقفين الجزائريين الذين درسوا في بغداد ودمشق والقاهرة. ونحن هنا نضع صفة (البعثي) بين قوسين حتى لا يفهم القارىء أن هناك حزباً بعثياً جزائرياً!!.

3 التيار الإسلامي التقليدي الذي يعتبر حركات الإخوان المسلمين في المشرق مرجعية له، كذلك يعتبرون أنفسهم ورثة

[جمعية العلماء المسلمين الجزائرية بقيادة عبد الحميد بن باديس] المتأثرة بدورها بأفكار الإخوان المسلمين في مصر الثلاثينيات والأربعينيات. ومن هذا التيار والتيار الأول تشكلت جبهة الإنقاذ الإسلامية في الجزائر، وحركة حماس الجزائرية.

هؤلاء جميعاً كما يرى المثقفون الجزائريون مسؤولون عن تدهور عملية التعريب وجعلها قضية سياسية حزبية باحتكارها، مما أعطى فرصة للآخرين لنقد عملية التعريب وآليات تطبيقها القهرية وغير العلمية وغير الحديثة. وهذا ما جعل اللغة العربية في أذهان القوى المقموعة مرتبطة بالتخلف. وأنا شخصياً أعتقد بصحة ذلك.

سادساً : ركز معظم المثقفين الجـزائريين على أنّ عدم الاعتراف باللغة الأمازيغية كلغة وطنية في الدستور يخالف أبسط حقوق الإنسان وأنّ المسؤول عن هذا هو السلطة البيروقراطية المركزية. وقال المثقفون أن الأمازيغية عامل توحيد إلى جانب اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية موحدة. ورأى كثير من المثقفين الجزائريين أنّ كتابة الأمازيغية، بحروف عربية هو الأفضل مع دراسة الخيارات الأخرى. وأجمع المثقفون على أنّ اللغة الأمازيغية لم تصبح لغة رسمية طيلة تاريخها، لكنها كانت لغة شفهية بقيت حيّة، حتى الآن. واختلف المثقفون حول آليات تطوير وتنمية الأمازيغية في الواقع الجزائري.

3. 2 وجهات نظر مشرقية :

1. الباحث العراقي هادي العلوي [مجلة الحرية الفلسطينية، دمشق 1991/1/20]

يرى هادي العلوي أن مصطلح بربر استعمل منذ أكثر من ألفي سنة وهو ليس شتيمة، وإنما الشتيمة في الاصطلاح المشتق منه في اللغات الأوروبية [BARBARISM]. فالبربر شعب عريق استوطن الأقاليم الجبلية من شمال أفريقيا منذ زمن سحيق، ومع أنه لم يطور مدنية خاصة به فقد حافظ على لغته وثقافته القومية حتى اليوم ولم تنصهر ثقافته ولغته في اللاتينية أو العربية أو الفرنسية. وإنما انصهرت شرائح من إدارييه ومثقفيه في ثقافة الغير. ويلاحظ أن الرومان لم يستطيعوا [لَتْنَنَة البربر] ولم يوفق العرب في تعريبهم ولا الفرنسيون في فرنستهم. فالعرب عرّبوا المدن والحواضر في شمال افريقيا، لكن الشعوب الإسلامية حافظت على ثقافتها ولغتها في ظل الإسلام [الفرس والترك والكرد مثلاً]. وقد استتقر الوضع في شمال افريقيا على وجود قوميتين : عربية وبربرية. إلاّ أن البربر تأخروا في تطوير ثقافة مكتوبة، تضاهي العربية، مما ساعد على اندماج أعداد كبيرة منهم في العرب وكرّس من تبقى منهم كأقلية قومية ولم تكن مسؤولية العرب. أما الفرنسية فقد فرضتها الشوفينية الفرنسية بقوة الاستعمار. ولكن العقدة الكبرى هي في ارتباط الطلائع التحريرية البربرية بالثقافة الفرنسية. وقد جعلها داعية فَرْنَسَة أكثر مما هي داعية بَرْبرة. وأدى هذا إلى اندماج قوي بين [النشاط القومي البربري] و [الفرانكوفونية]، حيث يتصرف بعض أنصار [النزعة البربرية] كأنصار غير متحفظين للوجود الفرنسي [كاتب ياسين وحسين آيت أحمد]. إنّ اللغة العربية هي اللغة المشتركة للأكثرية الجزائرية، من سلفيين وعلمانيين

وفاشيين وديمقراطيين، فهي غير مطروحة على ساحة الصراع السلفي - العلماني، إلاّ إذا أراد العلمانيون تسليم ورقة اللغة العربية الوطنية للتيار السلفي، كما سبق وأن سلمّوهم أوراق كثيرة جعلت الجماهير تلتف حولهم. وإذا أرادت الحركة القومية البربرية حلاً جذرياً فلن يكون إلاّ بالقطيعة مع الفرانكوفونية، وتحول قيادات هذه الحركة من الفرنسة إلى البربرة.

ويختم هادي العلوي كلامه بالقول : [**من حق البربر كامة متميزة أن يكون لهم كيان سياسي، ويمكن أن ياخذ هذا الكيان، صورة الحكم الذاتي أو الجمهورية المستقلة تبعاً للظروف وامكانيات الحركة والأفق التاريخي لقياداتها. وسوف يتاصل الخط القومي للبربر بقدر ما تتجه الحركة البربرية إلى تبني مبادىء حركات التحرر، أي حركة معادية للامبريالية، متحالفة مع القوى الوطنية والديمقراطية**].

ونحن نلاحظ أن المثقفين الجزائريين لم يطرحوا مسألة الانفصال عن الدولة العربية الإسلامية في الجزائر بتأسيس جمهورية مستقلة للبربر أو حكم ذاتي، كما يطرح هادي العلوي. فهل هو القياس على رغبة دفينة لدى صديقنا هادي العلوي بتأسيس دولة كردية مثلاُ!!!. نحن نوافق على أنّ المسألة الكردية والمسألة الأمازيغية، جرحان غائران في قلب العروبة الشعبية، حيث لم تستطع العروبة الدكتاتورية تقديم حل منطقي وديمقراطي، ينطلق من عدم تحويل الكردي إلى [بعثي] أو تحويل الأمازيغي بالقوة إلى [عربي] لكن حلّ [الجمهورية المستقلة الأمازيغية]هو حلّ غير واقعي، لأسباب واقعية. أما فك الارتباط الأمازيغي مع الفرانكوفونية فهو اقتراح صائب، لأنه يسهّل عندئذ، الالتفات لوطنية اللغة الأمازيغية. كذلك النضال من أجل فك ارتباط اللغة العربية بالتيار السلفي.

2. عز الدين المناصرة : ورقة مقدمة إلى ندوة اللغة الامازيغية بمعهد الثقافات الشعبية - جامعة تلمسان - 14 يناير 1990 :

كنت أستاذاً بمعهد الثقافات الشعبية لطلبة الماجستير بجامعة تلمسان [اكتوبر 1987 - تموز 1991]، وطلب مني عميد المعهد أن أشرف على ندوة اللغة الأمازيغية ينشطها بعض أنصارها القادمين من وهران، أحدهم يترأس جمعية للدفاع عن الثقافة الأمازيغية في وهران. وكان الطلبة يدرسون مساق اللغة الأمازيغية بشكل شبه سري. وكنت الأستاذ الأجنبي الوحيد بالمعهد، ولهذا قصة طويلة بعد أن عملت أستاذاً للأدب المقارن في جامعة قسنطينة [مارس 1983 - أيلول 1987]. وفيما يلي النص المختصر لورقتي التي قدّمتها في الندوة الثقافية :

[إنَّ المصادر التاريخية للغة الأمازيغية نوعان :

1. **المصدر البدائي** : ويتمثل في المصادر التالية :

أ - كتابات فلسطين البدائية [الألف الثاني ق.م].

ب - كتابة أوغاريت الكنعانية [القرن 15 - ق.م.].

جـ - السينائية الكنعانية الأولى.

2. **المصدر الأساسي المتطور** : ويتمثل في المصادر التالية :

أ - الكنعانية الفينيقية القرطاجية.

ب - الآرامية والسريانية.

جـ - العربية اليمنية الجعزية.

لقد أخذت الأمازيغية نظام تربيع الحروف من هذه اللغات كما أخذت نظام الحركات [الإشارات والتنقيط] من النظام الفلسطيني والنظام الطبراني. لكن أقرب مصدر للأمازيغية [حروف التيفيناغ التواركية] هو

اللغة الكنعانية الفنيقية القرطاجية. فالمصدر الأساسي للامازيغية إذن هو الألفبائية الكنعانية التي تفرعت منها كل لغات العالم.

وقد أثرت الكنعانية مباشرة في اليونانية. ومن اليونانية، ولدت اللاتينية والسلافية. فالأمازيغية لغة سامية حامية. والكنعانية هي اللغة الأولى في العالم التي مكنت الإنسان من تصوير كل صوت من أصوات اللغة برمز. وصارت مجموعة الرموز تعكس كلمات بألفاظها وأصواتها. واحتفظ اليونانيون بأسماء الحروف الكنعانية. ولا خلاف على جغرافية بلاد كنعان فهي [فلسطين ولبنان وسوريا والأردن]، لكن فلسطين كانت هي المركز. ففي سنة 1905، عثر عالم الآثار فليندرز بتري في منطقة سرابيط الخادم في صحراء سيناء على كتابات تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد. وهي حلقة الوصل بين الكتابة المصرية الهيروغليفية [التصويرية] والألفبائية الكنعانية. وتتكون اللغة السينائية الكنعانية من 32 رمزاً. وهم يرون أن الكنعانيين اعتمدوا المبدأ الأكروفوني. وهذا يعني أنهم رسموا الشكل وصوروا الشيء، كما هو في الواقع واكتفوا بدلالة الشكل على الصوت الأول من اسمه مثلاً : رسموا رأس الثور المسمى بالكنعانية [أ] ورسموا الباب المسمى بلغتهم [دالت] ولفظوا [دال]، أي أنهم - كما يقول الدكتور أحمد هبّو - جردوا الأشكال المصورة من دلالتها الأصلية واكتفوا بالصوت الأول منها. ومن اللغات الكنعانية : اللغة العبرانية وهي لغة الطائفة السامرية في نابلس بفلسطين. أما الكتابة العبرية المربعة المعروفة فهي نوع من الكتابات الآرامية ولا صلة لها بالعبرانية القديمة. وقد أخذ العبرانيون في القرن السادس الميلادي نظام الحركات والتنقيط من النظام السرياني الفلسطيني والنظام الطبراني في القرن الثامن الميلادي. ومن اللغات الكنعانية اللغة المؤابية لغة شرقي نهر الأردن. وكان الآراميون والسريانيون قد أخذوا كتابتهم من الكتابة

الكنعانية دون إضافة. ويرى الدكتور أحمد هبوّ أن الكتابة البربرية القديمة [تيفيناغ] استوحت مبادئها من الكنعانية الفنيقية.

ولا علاقة للأمازيغية باللاتينية من قريب أو بعيد. أما أصول الأمازيغ فأنا أميل إلى رأي ابن خلدون الذي يرى أنهم [كنعانيون تبربروا]. وأميل إلى رأي الروائي الايطالي إمبرتو إيكو [صاحب رواية اسم الوردة] الذي رأى أنّ كلمة بربر، هي وصف أطلقه الإغريق على الأمازيغ الذين كانوا يعملون في اليونان فلا يتقنون أصوات اللغة اليونانية كماأهلها فقيل حينئذ إنهم يبربرون باللغة. لكن الثقافة اللاتينية جعلت صفة البربري سلبية. ولهذا جاء استعمال العرب لها لاحقاً تحصيل حاصل ولم يكن إلاّ وصفاً لتحديد مجموعة سكان شمال افريقيا.

أما حول إشكالية الأمازيغية المعاصرة فأنا أتقدم بالمقترحات التالية :

أولاً : توحيد اللهجات الأمازيغية في لغة واحدة ونظام كتابي واحد بالحروف العربية.

ثانياً : اللغة العربية هي لغة وطنية رسمية للدولة الجزائرية توحد البلاد، مع ضرورة إعادة النظر في اليات التعريب المتخلفة، لتصبح لغة رسمية مقبولة من كافة فئات الشعب وفي مقدمتهم الأمازيغ. وهذا يتم بفصل اللغة العربية عن التيار السلفي التقليدي السياسي، بإبعاد اللغة عن مجالات الصراع الحزبي والسياسي.

ثالثاً : اعتراف الدستور الجزائري بوطنية اللغة الأمازيغية، بالعمل على تنميتها ومنحها فرصة حق التعبير عن نفسها بكافة الأشكال الممكنة في إطار تعددية الواحد.

رابعاً : الإسلام دين الدولة للعرب والأمازيغ. وينبغي التمييز بين العقيدة والممارسات السياسية الإسلامية. مع حق المواطن في اختيار طريقة التعبير عن معتقده الإسلامي. وليس لأحد أن يحتكر طريقة معينة.

خامساً : تحـويل اللغة الفرنسية من لغة استعمارية مـهيمنــــة إلى لغة إنسانية أجنبية للمعرفة، أي تحولها إلى لغة أجنبية طبيعية في الجزائر.

سادساً : الانطلاق من منظور التكامـــــل بين عناصر الهوية الجــزائرية [الإســلام - الأمـازيغـيـة - العـروبة - التـاريخ المشـتـرك] وليس منظور التناقض التناحـري. وهذا ينطبق على مـشـاكل التـاريخ ومشاكل الحاضر.

هل تعرفون أنني لم أفـهم مشكلة الأمـازيغـيـة إلاّ بعـد عـام 1988، بل كنت ممنوعاً من مجرد المعرفة قبل ذلك. بل إنّ نقلي التعسفي من جامعة قسنطينة إلى جامعة تلمسان حيث استخدم [سيف إرهاب الغموض]، له صلة بمشكـلة الديمقراطية والأمـازيغية والتـعريب فـي الجزائر والوحدة الوطنية والديمقراطية في الثورة الفلسطينية . هل تعرفون أننــي لم أكن أعرف أنّ صفقة قد تمت في أغسطس 1986 في قسنطينة وها أنذا أنهي كلامـي بالقـول : إن التـهـرب من حلّ المشـاكل حـتى لو كـانت مـعـقـدة وحسـاسـة يزيد المشاكل تعقيداً، والحل بسـيط هو أن ننقلها من المجال السياسي إلى المجال المعرفي بوضعها على طاولة المشرحة].

4. عبد الرحمن الجيلالي : التاريخ الأمازيغي في الجزائر

تعـاقـبت على الجـزائر خـمس أمم كـبـرى هـي : البـربر الكنعـانيـون والبربر الفنيقيون والرومان ثم الفندال، ثمّ بيزنطة.

وعندما نعود للبحث الهام الذي كتبه **أنجلبـار أمفـانغ (الأستـاذ بالجـامـعـة الفـيـدرالية بالكاميـرون) الذي قدمـه لمؤتمر الثـقـافـة الافريقية بالجزائر سنة 1969**، يقول الباحث معتمداً على هيرودوت أنّ

الليبيين ينتسبون إلى شعوب كثيرة، حيث يذكر **هيرودوت** وجود مجموعة من الأقوام، عدد 14 في ليبيا العليا وعشرة أقوام في ليبيا الداخلية، مع مجموعتين من الزنوج الأثيوبيين. ثمّ يتحدث هيرودوت حيث يصنف السكان إلى مجموعتين :

1. مجموعتان أصليتان [الليبيون في الشمال والأثيوبيون في الجنوب].

2. مجموعتان مهاجرتان [الفنيقيون واليونانيون].

ونعود إلى مجلدات **كتاب تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي**، كمرجع أساسي لمعرفة التاريخ القديم وعنه نلخص مجموعة من المعلومات والأفكار لرسم محطات مركزية.

يرى عبد الرحمن الجيلالي أن الأفارقة والبربر هم أول من سكن الجزائر. واندمج الميديون البربر والأرمن، مع اللوبيين، وسمّوا جميعاً بالنوميديين. وقد جلب [الأمازيغ الكنعانيون الهكسوس] معهم إلى شمال إفريقيا الزيتون والعنب والتين من بلاد كنعان.

أولاً : البربر : هم أول من سكن شمال افريقيا في التاريخ المدوّن – كما يرى الجيلالي وأن لفظة [البربر] أطلقت عليهم من قبل اليونان، صفة لكل إنسان أجنبي لا يتكلم بلغتهم. وأطلقه اليونانيون على الايطاليين [أمة بارباريا]. وعرفت كافة الأمم التي خرجت عن طاعة الرومان باسم [بارباريكوم] أي بلاد البربر. وأطلق اسم [بارباریاس] على سواحل الدانوب الألماني. وهكذا أطلق هذا الاسم على كل من هو ليس يوناني. أما هيرودوتس الذي عاش في القرن الخامس ق.م فكان يسمي شمال إفريقيا باسم لوبيا أو ليبيا.

ثانياً : يرى عبد الرحمن الجيلالي أن **البربر، ساميون من أبناء ما زيغ بن كنعان**، فهم الأمازيغ. وهم حين قابلوا في وفد لهم عمر بن الخطاب بعد فتح مصر، قدّموا أنفسهم له على أنهم أحفاد مازيغ بن كنعان وأنهم أصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب (البحر الأحمر) والبحر المحيط، [المحيط الأطلسي]، ولم يقولوا إنهم بربر.

ثالثاً : يقول **القدّيس أوغسطين** في رسالة له إلى أهل روما، وكان أوغسطين الأمازيغي يقيم في مدينة بونة [عنابة] يقول [**إذا سالتم سكان البوادي عندنا في نوميديا، قالوا : نحن كنعانيون**]. ويقول المستشرق الألماني **بروكلمان** [**إنّ اليهود** هم الذين عملوا على إقصاء الكنعانيين عن جدول بني سام وإلحاقهم بجدول بني حام، وذلك بسبب حروب بينهما]. ويقول **الشيخ عبد الرحمن الجيلالي** إنّ البربر أمة عظيمة انتقلت من [**جنوب فلسطين**] إلى افريقيا في فترات مختلفة ودفعات متفرقة. ومنهم الكنعانيون الذين أخرجوا من ديارهم بفلسطين حين تغلب عليهم العبرانيون فأجلوهم إلى شمال افريقيا عن طريق مصر **سنة** 1300 ق.م.

ويقول **يوسف بن عبد البر القرطبي** أن هذه الجالية الكنعانية نزلت أولاً بأرض مصر ومنعت من البقاء فيها وتصلب في وجهها الفراعنة فواصلت السير إلى أرض المغرب. وهي تتألف من عدة فروع هي [العماليق واليقشانيون]. وفي سنة 1095 ق.م حارب طالوت [شاؤول الاسرائيلي] جوليات الفلسطيني فانهزم فتم تهجير قسم كبير من أهل فلسطين، ثم أخرج داوود من تبقى من الكنعانيين من سهل شنعار سنة 1055 ق.م فكانت هجرتهم إلى

شمال افريقيا. أما الحسن الوزان [ليون الافريقي] فقد قسّم سكان أفريقيا إلى أربعة أقسام : أفريقي وكنعاني فنيقي ولاتيني وعبراني.

رابعاً : يقول الجيلالي : **هناك جذمان عظيمان يكونان كل الفروع البربرية هما : مادغيس [الملقب بالأبتر] وقبائل البرنس وكلاهما اخوان لأب واحد هو [برمن بن مازيغ بن كنعان].**

1. وقد تفرع عن **برنس** عدة قبائل منها : **كتامة وعجيسة وأزداجة** وقد سكنت الجزائر **وصنهاجة** في الجزائر والمغرب. أما قبيلة **كتامة** فسكنت الساحل من بونة (عنابة) إلى بجاية ومن مدنها : جيجل والقلّ وسكيكدا وسطيف وقسنطينة، كذلك سكنوا جبال الأوراس. **أما عجيسة** فسكنت جبال المسيلة وأرض تليلان. وأما أزداجة فسكنت في وهران.
2. تفرع عن **مادغيس** عدة فروع تجتمع في أربع قبائل كبرى هي : **لواته وضريسة** وسكنت الجزائر. أما لواته فهي قبيلة عظيمة تفرع منها سبع قبائل منها : **زناته وزواوة**، سكنت تلمسان وريغة والأغواط والزاب. كذلك سكنت منطقة القبائل. ومن **زناتة قبائل** : مغراوة وبني يفرن ومديونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة وبني ومّانو وبني يلومي وبني عبد الواد وبني مادين. وسكنت قسنطينة وبجاية قبائل زواوة وكتامة وعجيسة وهوّارة.

خامساً : يحدد الجيلالي الأماكن التي سكنها البربر في الجزائر وهي :

1. الجزائر العاصمة : سكنها بنو مزغني الصنهاجيون.

2 جرجرة ببلاد زواوة. 3. ورقله [بنو ورجلان]. 4. المنيعة. 5. ندرومة. 6. تيهرت. 7. تلمسان. 8. شرشال.9. تَنَس 10. جبال وانشريس. 11. جبال عمور [وهران]. 12. ثنية الأحد. 13. تيهارت. 14. سوق هراس. 15. جميلة. 16. فج مزالة. 17. ديار الشبكة في بلاد بني مزاب.

إنّ الغالب من هذه القبائل البربرية متفرع عن ثلاثة شعوب عظيمة على النحو التالي : صنهاجة وكتامة وزناتة.

1. **الجزائر العاصمة** : صنهاجة بفروعها : زواوة وفليسة وبنو منقلات وعمور. ومن زناتة بالجزائر : مغراوة وسوماته وبنوتوجين وبنو مناصر.

2. **قسنطينة** : صنهاجة بفروعها : مزيته وعجيسة وبنو يفرن الشاوية، ومن كتامة بفروعها : بنو سيلين وقبائل بني خطاب وعياد وجمله.

2. **وهران** : زناته بفروعها : مديونة وولهاصمة وترارا وتيغرين وشقالة ويزناص.

ويقرر الجيلالي أن **نسبة السكان البربر اليوم في الجزائر هي** 30٪ ويرى الجيلالي أن حروف [التيفيناغ = الحروف المنزّلة] هي اربعة عشر حرفاً. ولها حركات وضوابط تسمى [تيدباكين]، وهي يستخدم لدى القبائل الملثمة [التوارك]. وهم ما زلوا يستخدمون خط التيفيناغ. وهناك لهجات امازيغية منها : لهجة القبائل – لغة الشاوية – بنو مزاب – بنو صالح – الشلوح – التوارك...الخ. **ويتكلم بالامازيغية 25٪ من سكان الجزائر.**

سادساً : الدولة الفينيقية الكنعانية (880 - 146 ق.م) :

يقول الجيلالي [لقد أقبل البربر على اللغة الكنعانية الفينيقية، عندما وجدوا ما فيها من القرب من لغتهم وبسبب التواصل العرقي بينهم وبين الفينيقيين]. والمعروف أن الممالك الكنعانية السبع كانت تمتد من اللاذقية شمالاً وحتى غزة والخليل. أما الفينيقيون فهم سكان الجبال في بيت لحم وحبرون [الخليل] أصلاً، ثم انتقلوا شمالاً إلى صور وصيدا وجبيل لبنان، لهذا امتلكوا الخصائص الجبلية والبحرية. وكان الفينيقيون يتحدثون ويكتبون بالكنعانية. فالفينيقية تساوي الكنعانية. وقد أسسوا ثلاثمائة مركز تجاري في ليبيا أولاً. ومن مدنهم في الجزائر [مدينة إيكوسيم (الجزائر العاصمة) - مدينة صلداي (بجاية) - مدينة روسيكادا (سكيكدا) - مدينة هبّو [عنّابة] - ومدينة رسجونتا (ماتيفو) ومدينة شولو [القل] - ومدينة يول [شرشال] - ومدينة انجيجلي [جيج] ومدن روسقور وتاقبست وتادلس، دلس وتنس وتيقزيرت. وغيرها مثل : مداورش وسوق هراس وتبسة. ومنها بالساحل التونسي [سوسة وبنزرت] وبالمغرب [طنجة ومليلة واغادير] وغيرها. وأسسوا دولة قرطاجنة وعاصمتها قرطاج. يقول أرسطو عن نظامها الاداري [إنّ **لقرطاجنة دستوراً انفردت بكماله عن سائر الدول ولها شرائع في غاية الحسن. إن القضاء عند القرطاجنيين هو افضل منه عند اليونان]**.

أما اليهود فقد قدموا إلى شمال افريقيا ابتداءً من العام 588 ق.م. بعد احتلال الملك البابلي بختنصر لمدينة أورشليم، فخرج

اليهود منها مشردين لاجئين إلى أبناء عمومتهم الكنعانيين في شمال إفريقيا. وجاءت الموجة الثانية بعد سقوط القدس 70م على يدي الامبراطور الروماني تيطس ثم هجرة اليهود الثالثة التي كانت من الأندلس واستمرت هجرتهم من القرن 14 إلى القرن 17م. وكانت قبائل [مديونه/نفوسة] بجبل الأوراس تدين باليهودية إلى عهد الدولة الإدريسية حيث اعتنقوا الإسلام.

سابعاً : كان أول ملـوك الجزائر مـن البربـر (فارمينا). وكان الملك ماسينيسا ملكاً على مقاطعة قسنطينة. كذلك الملك صيفاقس وعاصمته أرشقول قرب تلمسان. والملك يوبا وعاصمته بونة (عنابة). لكن اشهرهم **ماسينيسا** الذي دخل في صراع مع صيفاقس. وكان في بداية الأمر موالياً للفينيقيين، ولما رأى تهاون قرطاجنة وعدم مبالاتها تجاه حقه في الولاية على عرش أبيه، خرج عن طاعةقرطاجنة عام 158 ق.م وتحالف مع روما. وإلى هذا الملك ينسب اختراع لغة ليبية على نمط الحروف الهجائية الكنعانية الفينيقية، حيث عمل على تركيب الجهاز الأبجدي البونيقي على الرموز الصوتية القديمة التي كانت مستعملة لدى الليبيين. وتوفي عام 149 ق.م وقبره معروف حتى الآن في قرية الخروب في ضواحي قسنطينـة. وقد قمت شخصياً بزيارة قبر ماسينيسا أثناء إقامتي في مدينة قسنطينة أكثر من مرّة.

ثامناً : قسم الرومان شمال إفريقيـا إلى ثـلاث مقاطعات : أفريكا ونوميديا وموريتانيا وهي تشمل [تونس والجزائر والمغرب]. وكان يطلق عليها جميعاً اسم موريتانيا بإستثناء طرابلس. وفي سنة 27 ق.م اندمجت نوميديا في أفريكا وصارت حدودها من جيجل

إلى برقة. ثم قسمت إلى قسمين : موريتانيا الطنجية [المغرب] وموريتانيا القيصرية [الجزائر والمغرب].

قاوم الأمازيغ بقيادة **يوغورتة** الحكم الروماني سنة 110 ق.م، وعمل يوغورته على توحيد القبائل البربرية. وانتصر على الرومان في معركة سوتول قرب قالمة. وأصبح يوغورطة ملكاً على قسنطينة [سيرتا] سنة 112 ق.م لكن حلفاء روما من البربر مثل يوبا الثاني وبوكوس ملك موريتانيا ، تآمروا ضدّ يوغورطة وسلموه أسيراً للرومان سنة 104 ق.م. فمات في السجن سنة 106 ق.م. ومن الثورات ضد الرومان، ثورة القائد البربري تاكفاريناس سنة 17. وقد دامت ثورته سبع سنوات ثم انهزم قتيلاً في منطقة سور الغزلان. ولم يتمكن الرومان من السيطرة التامة على الجزائر، حيث كانت جبال وانشريس والأوراس وصحراء الجزائر ووهران خارج سلطتهم حتى عام 297م، حيث استولت روما على الجزائر. وجاء الامبراطور قسطنطين إلى افريقيا سنة 325 حيث قام بترميم مدينة سرتا وسمّاها قسنطينة باسمه. واستولى على عرش روما سنة 312م، فاعتنق المسيحية وأصدر مرسوم ميلان يمنح حرية مطلقة في الاعتقاد. وأصبحت الجزائر مسيحية على مذهب الدوناتيست وكان عدد سكان الجزائر في العهد الروماني سبعة ملايين. وقد استمرت الدولة الرومانية في الجزائر [146ق.م إلى 431]. ثم جاء **الفاندال** بقيادة جنسريق سنة 429م واحتلوا الجزائر بعد أن قاوم القديس أوغسطين مقاومة باسلة دفاعاً عن مدينة بونة (عنابة) التي كانت آخر معقل روماني يسقط في يد قبائل الفاندال ثم سقطت

قرطاجنة حيث أصبحت عاصمة لهم واستمرت دولة الفاندال من 431م – 534م. وهم منحدرون من السلالة السلافية، قدموا من جنوب ألمانيا. ومن اسمهم جاءت تسمية الأندلس (فاندولوسيا). وقد سيطر الفاندال على تونس ونوميديا وتبسة والمغرب الأقصى.

تاسعاً : من الشخصيات الثقافية في العهد الروماني في الجزائر برزت شخصيتان شهيرتان هما : **ابوليوس الماضوري** صاحب الكتاب الشهير [الحمار الذهبي] وصف فيه الحياة المغربية، وهو نوميدي من مواليد [مداوروش] قرب سوق هراس سنة 125م. وقد كتب كتابه باللاتينية. كذلك شخصية أخرى هي **القديس أوغسطين** المولود في تاجيسته (مدينة سوق هراس) من أم مسيحية وأب وثني. وقد تأثر أوغسطين بالمذهب الأفلاطوني الجديد بعد سفره إلى روما. وعاد من إيطاليا سنة 388 إلى سوق هراس، حيث أقام ديراً للتعبد. ثم عين أسقفاً لمدينة عنابة. وله اكثر من مائتي كتاب باللاتينية أشهرها [اعترافاتي] وكتاب [مدينة الإله]. ومات شهيداً في 430/8/29م مدافعاً عن مدينته عنابة ضد الغزو الفاندالي.

عاشراً : كان عمرو بن العاص قد فتح طرابلس وصبراته سنة 643م وأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في فتح افريقيا الشمالية.

1. **حملة عبد الله بن أبي السرح** : كان ابن أبي السرح والياً على مصر منذ 646 فاستأذن الخليفة عثمان في فتح افريقيا. وخرج في جيش قوامه عشرون الف جندي من [عرب الجزيرة

وقبط مصر وبربر من افريقية] فخاض معركة ضد البطريق جوريجيوس حاكم إفريقيا فانهزم الروم. ولجأ رؤساء البربر إلى عقد صلح مع ابن أبي السرح. وعاد إلى مصر دون أن يولي أحداً لمدة ١٧ سنة.

2. **حملة معاوية بن خديج** : أصدر الخليفة أمـــــراً إلى والي مصر معاوية بن خديج لفتح افريقيا سنة 666. ففتح بنزرت وجلولاء وجربة وسوسة. ثم عاد إلى مصر.

3. **حملة عقبة بن نافــع الأولى** : عينه معــاوية واليـــاً على افريقيـا سنة 679م ففتح ولاية تونس واختــار موقع مـدينة القيروان عاصمـة له. وبقي خمس سنوات وعين مكانه **أبي المهاجر دينار**. فاستمر والياً لها سبع سنوات بدعم من مسلمة بن مخلد والي مصر الذي كان يخاف من قوة عقبة. ففتح أبو المهاجر دينار، الجزائر.

4. **حملة عقبة بن نافع الثانية** : اعتقل عقبة بن نافع كلاً من أبي المهاجر **وكسيلا الملك البربري**. وفتح منطقة شرقي الأوراس ومدينة لمبيز وأزبه عاصمة الزاب وتيهرت. ثم تلمسان وطنجة. وكان كسيلة البربري قد هرب من سجنه وكان أبو المهاجر قد نصح عقبه بعدم إهانة كُسيلا، لكن عقبة لم يستمع للنصيحة. فشكل كسيلة جيشاً حارب عقبة في معركة سهل تهودة قرب بسكرة. وكان عقبة قد أطلق سراح أبي المهاجر الذي استشهد في المعركة سنة 682م. وانتصر كسيلا. وبدأت حالات الردة عن الإسلام بين البربر. فأنشأ كسيلا مملكة

بربرية تشمل الأوراس والجزء الجنوبي من قسنطينة والجزء الأكبر من تونس. وبقي كسيلا منتصراً منذ استشهاد عقبة في معركة تهودا وحتى عام 688م حيث عاد العرب وفتحوا هذه المناطق. وهكذا استمر تفاعل العرب مع افريقيا مدة طويلة منذ 642م حملة عقبة حتى معركة تهودا 682. التي تميزت بمقاومة رومانية وبربرية ضعيفة.

5. **حملة زهير بن قيس البلوي** : ظلّ الروم على اتصال مع الملك البربري كسيلا، فتنبه الخليفة عبد الملك بن مروان رغم ثورة ابن الزبير واضطرابات الشيعة، فعين زهير بن قيس والياً على افريقيا سنة 688. وتشكل جيشه من أربعة آلاف جندي عربي وألفين من البربر المسلمين، فقتل كسيلا في معركة ممش سنة 690م. وواصل زهير فتح افريقيا. وكان سكان الجزائر يومئذٍ من البربر والبيزنطيين والأفارقة.

6. **استقر البربر على الإسلام في عهد موسى بن نصير، رغم انهم ارتدوا عنه سابقاً. اثنتي عشرة مرّة كما يقول ابن خلدون، بسبب تعسف بعض الولاة.** وعمل موسى بن نصير على إحضار ألف فقيه في الإسلام لتعليم البربر اللغة العربية، وأمور الدين. يقول غوستاف لوبون [للبربر لغة عريقة يحتمل ان تكون مشتقة من الفينيقية الكنعانية. ويدين البربر بالإسلام ولكنهم كانوا يدينون بآلهة قرطاجنة الكنعانية. وقد تعربت البربرية حيث تتألف لغة بلاد القبائل الأمازيغية بنسبة الثلث من العربية. فتأثير العرب في شمال إفريقيا أكبر وأقوى من الرومان والإغريق الذين لم يتركوا أثراً في اللغة البربرية].

ونحن نعتقد أن جاذبية الإسلام لدى البربر هو الذي أدى إلى انتشار العربية بينهم، لهذا كانت مقاومتهم له ضعيفة والمصادر الغربية هي التي تضخم المقاومة الفردية لشخصيتين أمازيغيتين هما : **كسيلا وديهية (الملقبة بالكاهنة)، في منطقة الأوراس**، وذلك لمنع التقارب بين العرب والبربر.

5. خلاصة : منظور التكامل الديمقراطي

أولاً : مشكلة المركزية في الدولة الجزائرية بوجود مؤسسة عسكرية حاكمة يتحالف معها نظام الحزب الواحد [1962 – 1989] ولّدت البيروقراطية وغياب الديمقراطية والنظام الأمني الشمولي الذي يمركز كل السلطات بين يديه، وهذا كله عجّل بعودة المكبوت [أحداث الربيع الأمازيغي عام 1980/أحداث قسنطينة عام 1986/ أحداث أكتوبر 1988] ويعتقد أن الدولة كانت وراء تفجير 1986 و1988، من أجل ترميم المجتمع الجزائري واستخراج القوى السياسية المقموعة منذ 1962، لكي تشارك في حلّ الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الخانقة ولكي تتلاءم مع متطلبات ثقافة النظام العالمي الجديد، ومن الطبيعي أن تتوالد مشاكل قديمة جديدة عن توجه الدولة نحو اللامركزيّة، لكن الدولة أخطأت عام 1992 حين منعت التيار الإسلامي الفائز في الانتخابات من الوصول إلى قبة البرلمان، مما أدى إلى ظهور جماعات إسلامية متطرفة تتعاون معها بعض أجنحة المؤسسة العسكرية والأمنية. ولو وصل التيار الإسلامي إلى البرلمان لتلاشت شعبيته في زمن قصير، قياساً على تلاشي شعبيتهم تدريجياً بعد فوزهم في الانتخابات البلدية. وبالتالي فإن العودة إلى الديمقراطية ولا مركزية الدولة هو أحد الحلول.

ثانيـاً : ظلت الدولة غير جادة في مسـألة التعريب، وتركت مسـألة التعريب بيد الجناح السلفي لحزب جبهـة التحرير. أما الأحـزاب فقد تفاعلت مع مسـألة التعريب انطلاقاً من الشعارات والصراع السياسي بينها مرة وبينها وبين الحزب الحاكم مرة أخرى، كما استخدمت الدولة مسألة التعريب (1998) لتغطية عجزها أو ادعاءها بالعجز عن مواجهة الإرهاب والمذابح منذ عام 1992. وكانت طروحـات مثقـفي [يسـار حـزب جبهة التحرير والأحزاب اليسارية الديمقراطية]، أكثر موضوعية تجاه مشكلة التعريب.

ثالثـاً : كان مطلب الحركة الثقافية الأمازيغية بالاعتراف باللغة الأمازيغية لغةً وطنية وليس رسمية، مطلباً عادلاً في ظل التعددية العرقية واللغوية في الجزائر. لكن كتابة الأمازيغية بحروف عربية هو الخيار الأفضل للغة الأمازيغية من كتابتها بالحروف اللاتينية. وبطبيعة الحال يتطلب الاعتراف في الدستور بالأمازيغية مجموعة من الإجراءات لمنحها الحرية الكاملة في التطور. ولكن يجب قبل ذلك نقل مشكلة الأمازيغية من الإطار السياسي وتبادل التهم إلى الحقل المعرفي.

رابعـاً : يجمع المراقبون أن اللغة الفرنسية قد توسعت وقويت في الجـزائر في ظل دولة الاسـتقـلال أكـثـر مما كـان وضـعـهـا في عـهـد الإستـعـمـار. وظاهرة تطور قـوة اللغـة الفـرنسيـة مـوجـودة لدى مـعظم الجزائريين وفي مقدمتهم الأمازيغ والنظام الإداري للدولة وبعض شرائح المعربين الذين يدافعون عن الفرنسية فهي مفتاحهم نحو أوروبا والمدنية والمعرفة الحديثة كما يقولون. والمطلوب هو تحـويل الفرنسية إلى لغة أجنبية أولى للمعرفة بإزالة شحنتها الاستعمارية الموروثة، وهي شحنة قوية حتى الآن. فالمطلوب هو تحويلها إلى لغة علاقات ثنائية طبيعية بين فـرنسـا والجـزائر. ويقع الخلل في هذا المجـال في شـرائح واسـعـة من

الانتلجنسيا الجزائرية السياسية والإدارية والثقافية، لأنّ لديها حتى الآن [عقدة التلذذ بالتبعية الراقية]!!. رغم أنّ أي عاقل لا يعترض على الاتصال المعرفي بالفرنسية.

خامساً : الأمازيغ من أصول كنعانية، كما يؤكد القديس اوغسطين وكما يؤكد ابن خلدون. ولم يفرض الإسلام فرضاً بل ساهموا أي الأمازيغ في انتشاره (طارق بن زياد)، أما مقاومة شخصيتين بربريتين للإسلام هما [كسيلا والكاهنة ديهية] فقد كانت مقاومة مؤقتة ومحدودة قياساً على جيوش الأمازيغ التي ساهمت في الفتح الإسلامي لاسبانيا وساهمت في تركيز الإسلام في إفريقيا، كما أن السبب الثاني في هذه المقاومة الفردية للإسلام لدى ديهية وكسيلا، تعود إلى تعسف وسوء إدارة القيادة العربية للفتح الإسلامي أو بدقة لدى بعضهم. لقد وجد البربر أنفسهم في [جاذبية الإسلام] بسبب بساطته وعدالته وتسامحه. أما بعد الإسلام فالأمازيغ هم من قادوا أنفسهم بأنفسهم واسسوا دولاً، أمازيغية عربية مختلطة. وساهم أمازيغ الجزائر في ثورة أول نوفمبر 1954 وكانوا قادتها ضدّ الاحتلال الفرنسي. ولا نرى أي تناقض في وضع تاريخ الأمازيغي قبل الإسلام مع تاريخ الأمازيغي المسلم، بل إنّ وضعهما في حالة التكامل هو الصحيح.

بالديمقراطية وحدها يمكن حل مشكلة الأمازيغية ومشكلة التعريب فهما قضيتان ثقافيتان، لا يجوز اللعب بهما سياسياً. والأهم من ذلك أنّ الحلّ الأمني الذي تتبناه المؤسسة العسكرية لقضايا ثقافية لن يكتب له النجاح. اللغة الرسمية الوطنية للدولة هي اللغة العربية الموحدة للجزائر والامازيغية هي اللغة الوطنية القابلة للتطور بمنحها الحرية الكاملة في التطور. أما الإسلام فهو دين العرب والبربر الأمازيغ منذ خمسة عشر قرناً. وهو كعقيدة غير قابل للنقاش. أما ما هو قابل للنقاش فهي التطبيقات السياسية للإسلام.



الفصـــل الثـالــث

2. المسألة الأمازيغية في المغرب

[إشكالية هادئة وحوار عقلاني]



1. أمازيـــغ وعـــرب :

يقول **تيراس** RERASSE [إنّ البربر الذين كانوا يقيمون في المغرب في بداية العصور التاريخية والذين يشكلون اليوم أساس سكانه، يمثلون وحدةً ثلاثية في العرق واللغة والحضارة]. ويقول **سيليـريـيـه** -CEL ERIER [بوساطة اللغة والمؤسسات الاجتماعية يمثل العالم البربري وحدة حقيقية وروحية، ولكن من الناحية المادية تنقطع هذه الوحدة ويحل محلها الصراع القبلي واختلاف المصالح المادية]. ويرى **ديبوا** DESPIS، أن الرومــان قـد اقـتـفـوا أثر اليـونان في إطلاق اسم [بربري] على كل الشعوب التي ظلت غريبة عن لغتهم]. وتدل كتابات **القديس أوغسطين** أن لفظ بربري استخدم من قبل اللاتين في افريقيا ليدلّ على الأهالي الذين رفضوا سلطة الامبراطورية المسيحية]. لكنّ **لاتورنو** يرجع أنها مشتقة من اللفظ العربي [بَرْبَرَ] الذي يدل على الكلام بلغة غير مفهومة].

يواصل **محمد خير فارس** جمع أراء العديد من المؤرخين، ويرى أن الأنثربولوجيين ميزوا بين عدة نماذج بربرية : أحدهما يمت إلى شعوب البحر المتوسط والثاني يعود إلى أصول مشرقية والثالث إلى أصول ألبية. وكما يقول ديبوا [هناك أيضاً نموذج رابع هو النموذج الأبيض الأشقر، ولا يمكن ربطه بالاحتلال الفاندالي، فهو موجود منذ القديم]. أما **ابن خلدون** فيؤكد تأكيداً قاطعاً أن البربر هم أحفاد مازيغ بن كنعان]. ويرى **محمد خير فارس** أنّه لم يقم دليل كافٍ على قرابة اللغة البربرية من اللغات السامية أو اللغة المصرية القديمة.

ويرى **تيراس** أن لغتهم تصنف بالسامية والحامية معاً. وهي لغة منطوقة غير مكتوبة. ويرى **غرينييه** بأن اللغة العربية هي الوحيدة التي

نفذت كثيراً إلى اللغات البربرية. ويقول ديبوا [لقد كان للبربرحكام حقيقيون، ولكن هؤلاء الحكام لم يكونوا إلاّ رؤساء قبائل جبلية أو بدوية، فرضوا سلطتهم على قبائل أخرى أو تحالفوا معها]. ويرى **محمد خير فارس** أنّ تاريخ قبائل البربر قبل الإسلام يشبه تاريخ قبائل العرب قبل الإسلام. أما بالنسبة للعرب فيرى **محمد خير فارس**، أنّ العرب تدفقوا إلى المغرب على ثلاث مراحل :

1. الفتح الإسلامي للمغرب في القرن السابع.
2. هجرة بني هلال وسليم في القرن الحادي عشر.
3. هجرة العرب الأندلسيين بعد سقوط الأندلس.

وقد كانت الموجة الأولى عسكرية تمركزت في المدن المغربية. وتدفقت جيوش أخرى لفتح اسبانيا وأوروبا، شاركت فيها جيوش أمازيغية تعربت خلال إقامتها في اسبانيا. وظلت اسبانيا العربية مركزاً جاذباً للبربر خصوصاً في عهد المرابطين والموحدين. واستكمل الإسلام في المغرب على أيدي البربر أنفسهم. أما هجرة بني هلال وسليم القادمة من مصر فقد تمت في القرن الحادي عشر، حيث انتقل عدد ضخم من العرب قدر عدده بحوالي 200 الف. وسكنوا في الريف [تونس والجزائر ثم المغرب] وساهموا في تعريب الريف. لأنهم كانوا موجة بدوية. أما الموجة الأندلسية فقد قدّر عدد الذين هاجروا سنة 1269 من إشبيليا وحدها بحوالي 200 الف. تلتها هجرات بعد سقوط غرناطة سنة 1492م وصدور مرسوم سنة 1502م بطرد العرب من إسبانيا. وكان أكثر هؤلاء المهاجرين من البربر المعرّبين الذين اتجهوا إلى المغرب والجزائر وتونس وبلاد الشام ومصر.

ويرى **محمد خير فارس** أن تعريب المغرب تمّ لعدة أسباب :

1. **عامل ديني** : يقول **جوزيف بوريلي** - J. BOURILLY [إن

الإسلام له العامل الاكبر في تعريب البربر. فالتعليم الديني والصلاة كانت تجري باللغة العربية. ولم تكن اللغة البربرية قادرة على التعبير عن المفاهيم المجردة التي جاء بها الإسلام]. ويقول **فيكتور بيكه** PI-QUET أن سبب تقبل البربر للإسلام يعود إلى بساطة العقيدة.

2. **عامل إداري** : إن إدارة المغرب منذ الفتح وحتى الآن كانت إدارة عربية. وكان من يرغب في الدخول في السلك الإداري، يشعر بحاجته لتعلم العربية.

3. **تداخل الريف والمدينة** : كانت المدن المغربية مراكز عربية، وكانت مزدهرة ولها علاقة جاذبة بالنسبة لسكان الأرياف من البربر. يقول ديبوا [كانت المدن المغربية مراكز لنشر المعرفة الإسلامية والحضارة واللغة العربية، وقد احتفظت بعلاقة مع المشرق العربي].

4. **عامل اقتصادي** : كانت مراكز النشاط الاقتصادي الأساسية في المغرب هي المدن والسهول أي المناطق التي تعربت. وكان سكان الجبال من البربر بحاجة لإقامة علاقات اقتصادية.

ويرى **سيليريه** أنه سيطر على تاريخ المغرب الداخلي الصراع بين نظامين سياسيين هما : **الدولة** الممثلة بالمخزن والملكية ذات الأصل العربي والتيوقراطية بموظفيها المحليين – في مقابل الجمهوريات البربرية المحددة في إطار القبيلة أو المقاطعة الجبلية، يحكمها مجلس ديمقراطي وأمغر منتخب]. وكان هذا الصراع يقسم المغرب إلى : **بلاد المخزن [المدن والسهول] للعرب وبلاد السيبه [السباع] وهي المناطق الجبلية للبربر.**

لكن الإسلام هو الذي قوّى الترابط العربي البربري. حيث أصبح العنصر الرئيس في الهوية المغربية. ويصل **محمد خير فارس** إلى خلاصة تقول : إنّ ما يسميه الكتاب الفرنسيون بالمسألة البربرية إنما هو

سوء فهم لطبيعة العلاقة بين العرب والبربر. فقد عمل العرب والبربر على اقامة حكومات مغربية مشتركة على رأسها **اسر عربية كالادارسة والسعديين والعلويين او على رأسها اسر بربرية كالمرابطين والموحدين والمرينيّين**. ولعل الإشارة الوحيدة الواضحة عن تكتل البربر ضد العرب، هي تكتل البربر في زمن [مولاي سليمان] وهي ثورة ضدّ المخزن شاركت فيها قبائل عربية أيضاً. فالمسألة تتعلق بالفكر القبلي العشائري، أكثر من تعلقها بميول عرقية.

ويرى **عباس الجراري** في كتابه [الزجل في المغرب، 1969] أن توسع حركة التعريب في عهد الأدارسة يعود إلى أسباب كثيرة منها حالة الاستقرار وإنشاء جامع القرويين وخروج المغاربة في رحلات علمية إلى المشرق والقيروان والاندلس وكثرة الوفود العربية التي قصدت مدينة فاس. والميراث المشترك بين اللغة البربرية واللغة الفينيقية الكنعانية. واتقان المغاربة المسلمين للقران الكريم. وإنشاء المدارس والرباطات وعناية المرابطين بالثقافة العربية، وهجرات بني هلال وبني سليم وبني معقل والهجرة الأندلسية الكبرى.

2. قضية المرسوم الفرنسي : [الظهير البربري] - 1930

يرى **روم لاندو في كتابه [تاريخ المغرب في القرن العشرين]** بأنّ المارشال ليوتي قال سنة 1916 [لقد وجدنا في المغرب دولةً وشعباً واضحي المعالم : نظام سياسي واضح ونظام قضائي هام]. ويعلق روم لاندو [ليس هناك عنصر بربري واحد بالمعنى الذي نفهمه عندما نتحدث

عن العنصر العربي. فبربر الصحراء هم الأمازيغ وبربر جبال الأطلس هم الشلوح وهناك أيضاً آخرون].

[بينما لا يفهم بربري من الأطلس الأوسط شلوحياً من السوس] لكن العرب تبربروا كما تعرب البربر]. ويعلق أندرية آدم **بأن الشعبين (العرب والبربر) لهما وحدة حضارة لا يمكن أن تنكر]**. وقد ظلت دينامية الإسلام - يقول لاندو - هي المحركة لمعظم الثورات والحركات الإصلاحية في المغرب.

لقد خطط المارشال ليوتي لصيغة تفصل العرب عن البربر، لكن **الظهير [الموسوم] البربري ظهر سنة 1930 في عهد المقيم العام الفرنسي في المغرب لوسيان سان**. وهو عبارة عن مجموعة من الأوامر والتعليمات الإدارية لمنح البربر صفة الخصوصية بخلق [النزعة البربرية] من أجل التمهيد لفصل العرب عن البربر. وكان الهدف هو وضع القبائل البربرية في صراع مع السلطان والمخزن [وكان السبيل إلى ذلك، تشجيع النزعة البربرية لتظل في دورانها في دائرة مغلقة]. ويرى لاندو أنه لم يمض وقت طويل على صدور المرسوم الفرنسي (الظهير البربري)، حتى فتحت مدارس بربرية خاصة لنشر فكرة الانعزالية البربرية. وقال **غودفروا ديمونبين** [إنه من الخطر أن يسمح بإنشاء كتائب مغربية موحدة يتكلمون بلغة واحدة. بل يجب أن نقيد إلى الحدّ الأقصى من القول المأثور [فرّق.. تسُدْ] فقد نستخدم هؤلاء البربر ضدّ المخزن نفسه]. ويقول **الكولونيل مارتي** [إن المدارس البربرية يجب أن تكون خلايا للسياسة الفرنسية، وأدوات للدعاية بدل أن تكون مراكز تربوية بالمعنى الصحيح. ولذلك فقد دعي المعلمون إلى اعتبار أنفسهم وكلاء لضباط القيادة ومتعاونين معهم]. كانت القوانين القبلية -

يقول لاندو – نافذة في عدد من الأقضية البربرية منذ زمن طويل. ثم أدخل الفرنسيون سنة 1915 – الجماعة القضائية – لكن هذه لم تصل إلى مصاف المحاكم القانونية. فقد كانت مجال تحكيم فقط. وكان القانون العشائري يستخدم إلى جانب الشريعة الإسلامية. أما الظهير البربري فقد طوّر سلطة الجماعة بزيادة كبيرة فقد جعل منها سلطة قضائية فعلية. ويقول لاندو – إننا نعرف من محضر احدى الجلسات التي عقدها الخبراء الفرنسيون الذين صاغوا الظهير البربري أن الهدف لم يكن فقط كما أعلن رسمياً، لإظهار الاحترام للتقاليد البربرية القبيلية بل نجد في المحضر ما يلي [لا مانع من تقويض وحدة التنظيم القضائي في المنطقة الفرنسية، إذا كانت المسألة مسألة تقوية جماعة البربر، بالنظر إلى الدور الذي قد يدعون للقيام به بوصفهم جماعة قد تقف يوماً ما في وجه الجماعة الأخرى. وهناك من الناحية السياسية فائدة في إحداث هذا الشقاق]. ولهذا لم يكن غريباً أن يعتبر المغاربة الظهير الفرنسي بأنه [تدخل فرنسي في أسس الإسلام]. فقد اعترف الظهير باختصاص الجماعة القضائي وأنشأ محاكم خاصة للنظر في جميع القضايا المدنية دون استثناء وفق أسس العادات والعرف البربري. وقد كانت هذه المسائل تطبق وفق الشريعة منذ القدم. وكان الفرنسيون قد أحلوا قانون العقوبات الفرنسي محل القانوت الشريفي، ثم جاء الظهير ليغتصب سلطة السلطان المغربي وممثليه الشرعيين. قال **جوليان** [كانت الخطوة الفرنسية أكثر من مجرد إساءة استعمال حق قضائي، بل كانت خطأ سياسياً].

وقد انتعشت الحركة التبشيرية الكاثوليكية في ربيع 1930 فاعتبر المغاربة الظهير البربري بأنه خطوة للقضاء على الإسلام. مما جعل

الجماهير المغربية. يختتمون صلواتهم في المساجد بالدعاء التالي [يا أرحم الراحمين، جنبنا طرق المصير الشريرة، اللهم لا تفرق بيننا وبين إخواننا البربر]. وأنشئت لجان الدفاع عن مسلمي المغرب في القاهرة وبرلين وجاوة. وأرسلت برقيات الاحتجاج. وقد حملت بعض الصحف اليسارية الفرنسية على الظهير، لكن أغلب الصحف الفرنسية رأت في اضطرابات واحتجاجات المغرب - [عملاً تقوم به عصابة صغيرة من أهل الشرّ الذين يحملون شهادات التعليم الابتدائي، الذين يزعمون أنهم أحفاد غاندي وسعد زغلول]. وحاولت الحكومة الفرنسية التقليل من أهمية الاحتجاجات المغربية التي تقوم بها [عناصر غير مسؤولة]. لكن الظهير أدى إلى تحالف تلقائي بين الجماعات القومية [المثقفون وتجار المدن في فاس ومكناس والدار البيضاء] وبين التيار الإسلامي. لهذا قيل [لقد قامت فرنسا - دون أن تقصد - بدور أساسي في ولادة القومية المغربية]. بل لأول مرّة يدرك عرب المشرق [وجود قضية مغربية] بعد سنة 1930. كما يقول روم لاندو. وكان الهدف كما هو واضح من المرسوم الفرنسي المسمّى [الظهير البربري] هو اغتصاب سلطة السلطان المغربي على البربر وفصل البربر عن العرب، بترسيخ قوانين وتعليمات فرنسيّة إدارية وقضائية تساهم بالتدريج في فصل البربر وتحويلهم إلى مجموعة تابعة ثقافياً وسياسياً لفرنسا. ويقول **محمد خير فارس** أن الحركة الوطنية المغربية وصفت الظهير بما يلي :

أولاً : يخرج قسماً هاماً من السكان المسلمين عن القضاء الشرعي.

ثانياً : يحول جانباً من المسائل القضائية في المناطق البربرية إلى المحاكم الفرنسية ويؤدي إلى تنصير البربر.

ثالثاً : يمزق وحدة السلطنة المغربية، وهذا خرق صريح لمعاهدة الحماية سنة 1912.

يقول ليب **LEPP** [إن سياسة فرنسا الخاصة بالبربر وما رافقها من عمليات تبشير أدت إلى أن تصبح الحركة القومية المغربية المولودةعام 1930 – معادية للأجانب والمسيحية]. ففي *1930/6/20* قامت أول مظاهرة عامة في مسجد الرباط تلتها مظاهرات في سلا وفاس عاصمة المغرب الإسلامية والثقافية والاقتصادية. وأشرف على تحضير مظاهرات مدينة فاس زعماء شباب [علال الفاسي وعمر عبد الجليل ومحمد حسن الوزّاني]، اعتقلتهم السلطات الفرنسية. وتشكل وفد آل 24 في بلدية فاس، حيث قدّم المطالب التالية للسلطة الفرنسية :

1. إلغاء ظهير 1930/5/16 وسائر القوانين التي اتخذت معناه.
2. ربط جميع الموظفين الدينيين والمدنيين بسلطة الملك الشخصية.
3. تكوين قضاء موحد لجميع المغاربة.
4. ليس في المغرب دين قومي إلاّ الإسلام واليهودية.
5. منع الهيئات الأجنبية وإدارة المعارف من استعمال وسائل التبشير [المسيحي].
6. اللغة العربية وحدها، لغة البلاد الرسمية، ولذلك يجب أن تكون الأساسية في التعليم.

وأعلن المقيم العام الفرنسي بياناً قال فيه [أن فرنسا تقبل إخراج أية قبيلة تطالب بالقضاء الشرعي الإسلامي من مجال القبائل التي يشملها الظهير البربري]. لكن هذا كان بياناً للتنفيس، فقد أرسلت قبائل بربرية [أيت يوسي/زمور] وفوداً إلى سلطة الحماية تطالب بأن لا يشملها الظهير، لكن السلطة اعتقلت هذه الوفود. واحتلت السلطة الفرنسية مدينة فاس ومساجدها، ثم زار رئيس الجمهورية الفرنسية المغرب لتهدئة الوضع. يقول **لاتورنو** [لأول مرّة منذ بداية الحماية ظهرت مقاومة سياسية مكشوفة في المغرب]. ويقول جوليان [إنّ قضية الظهير البربري

ادخلت المغرب في الإسلام العالمي]. يقول **محمد خير فارس** إن تجاوب العالم الإسلامي مع المغرب كان كبيراً، حيث شنّت الصحف العربية حملة شديدة ضد السياسة الفرنسية بالمغرب ومنها [المنار والفتح والشورى والمؤيد في القاهرة وصحيفة الجامعة العربية في فلسطين والعهد الجديد في بيروت].

يرى الأستاذ **السعيد بن سعيد** في محاضرته **[الهوية الوطنية والوعي القومي العربي]** بأن الشخصية المغربية ترتكز على الحرية الفطرية، حتى أن المغاربة سمّوا أنفسهم منذ القديم بالأمازيغ أي الأحرار. وأنّ علال الفاسي نظر إلى الهوية بمسميات عديدة منها [الأمة المغربية] و[القومية المغربية] و [الروح المغربية]. لهذا يرى بنسعيد أن محتوى الوعي بالذات لدى الحركة الوطنية تحرك بين رفض الانغلاق على الذات باسم الخصوصية المميزة وبين رفض الذوبان والانصهار الكلي في المجموع الذي تعلن عن انتمائها اليه. ويتعرض بنسعيد لمرسوم [الظهير البربري] فيقول : يقضي هذا القانون بوجوب احتكام البربر المغاربة في أمور معاملاتهم الشخصية من زواج وإرث وبيوع وما إلى ذلك إلى مجمل تشريعات ترجع في أساسها إلى العرف السائد في بلاد البربر، تمييزاً لهم عن السكان العرب اللذين يحتكمون إلى الشرع الاسلامي في كل ما يتعلق بالأحوال الشخصية. ويزعم الظهير البربري أنه ينطلق من [حقيقة!!] تاريخية وبشرية هي أن المغرب يتكون في الواقع من عنصرين متمايزين تمايزاً كلياً : العنصر البربري الذي يمتلك عاداته وتقاليده التي ظلّ يحتكم إليها وهذه العادات والتقاليد لا علاقة لها بالشرع الإسلامي. أما العرب (وهم غزاة) لهم قانونهم الخاص وهو الشرع الإسلامي وقد استخلص [الظهير البربري) من ما عرف بالكتابات السياسية الاستعمارية باسم [السياسة البربرية لفرنسا في المغرب].

وقد كانت هذه السياسة عملاً عسكرياً وثقافياً شاملاً اشتمل على برامج مختلفة الميادين الإثنوغرافية والسوسيولوجية واللسانية والإستوغرافية. بل تمّ التمهيد له بإنشاء [إدارة ما وراء البحار] وانتاج ركام هائل من الأبحاث التي قامت بها [البعثة العلمية في المغرب] و[قسم السوسيولوجيا] و[الدراسات المغربية العليا] وغيرها، لمعرفة منافذ الضعف في المجتمع المغربي مع الاستفادة من [الدرس البربري في الجزائر]. يقول بول مارتي – P.Marty مدير التعليم في الإدارة الفرنسية في المغرب [1925] :

[إنّ اللغة العربية عامل أسلَمَة، لأن هذه اللغة تُتعلم في القرآن، والحال أن مصلحتنا تملي علينا أن نجعل تطور البربر يتمّ خارج إطار الإسلام]. وهذا يقتضي كما يقول **فيكتور بيكي** [أن تفرغ كل مجهوداتنا في تعليم البرابرة، اللغة الفرنسية دون لغة أخرى وسيطة]. ويعلق **السعيد بن سعيد** على ذلك بأنه قد تفجر الوعي القومي في ثلاثة أنماط : **أولاً** : إثبات عروبة القبائل البربرية عروبة ثقافية. **ثانياً** : إنشاء العديد من المدارس الحرّة الوطنية التي كانت لغة التعليم فيها هي اللغة العربية. **ثالثاً** : الرد على المزاعم والادعاءات الاستعمارية في قراءة التاريخ المغربي. كذلك فإن السياسة الفرنسية حاولت ربط البربر بأوروبا عن طريق الجذر اللاتيني للحضارة الأمازيغية أي – وفق بنسعيد – [بتجريد الهوية من هويتها!!!].

3. فرنسا والقضاء العشائري الأمازيغي :

يقول **مكي الناصري** : بأن فرنسا اختارت الأعراف المخالفة للإسلام والشائعة في عدد محدود من القبائل البربرية [قبيلة زايان]، لتجعل منها أساساً للقانون البربري الذي فرضته على الأكثرية. وقد

الغت المحاكم الإسلامية لدى عشرين قبيلة أمازيغية كبرى. وأخضعت القضاء العرفي العشائري البربري – بعد أن أخرجته عن دائرة اختصاص القضاء الاسلامي – إلى سلطة ضباط الإستخبارات الفرنسية والمراقبين، فتخلصت مثلاً من عرف يقضي بأن أراضي القبيلة البربرية لا يمكن بيعها للأجانب.

ويقول محمد خير فارس بأن وجود الأعراف ظاهرة طبيعية بدائية لكن استمرارها يعود لعوامل عديدة منها :

1. تساهل الشرع الإسلامي مع الأعراف التي لا تتناقض معه. ففي سنة 1885م أخذ مولاي الحسن مجموعة من أعراف القبائل البربرية [السوسية] ولمّا تأكد من أنها لا تحتوي على ما يناقض القرآن، سمح بتطبيقها رسمياً.

2. الجهل وقلة العلماء : فقد كانت بعض الأعراف [بربر الأطلس الأوسط في الشمال] تخالف الشرع ليس بسبب مقصود، ولكن بسبب قلة العلماء والجهل.

3. ضعف السلطة المركزية وعجزها عن السيطرة على البلاد كلها.

4. الطرق الصوفية والمرابطون الذين كان لهم الفضل في انتشار الإسلام في البداية لكنهم فيما بعد أصبحوا عنصراً من عناصر الاقليمية السياسية والقضائية. كما يقول محمد خير فارس.

ويذكر المكي الناصري أن مجموعات القانون العرفي لقبائل [السوس] وقبائل [الأطلس] العظمى ليس فيها ما يخالف الشرع، ما عدا بعض صور الرهن وبعض صور الديْن. وقد أسس البربر أنفسهم مدارس إسلامية. كما ترجم كتاب [المختصر] الذي ألفه الشيخ خليل المالكي والذي ظل معتمداً في القضاء والحكم في المذهب المالكي – إلى اللهجات

البربرية منذ قرون ولا تزال ترجمته إلى وقت قريب شائعة بين برابرة [الشلوح]. وكان القضاة – ونحن ننقل باستمرار عن محمد خير فارس الذي يترجم ويجمع عن مراجع فرنسية – يختارون من القبيلة نفسها وكانوا في الغالب فقهاء. أما في النواحي المدنية والتجارية فإن التحكيم هو الشائع في فض الخلافات. وليس لمجلس القبيلة (الجماعة) سلطة قضائية حقيقية وتكتفي بدور التوفيق بين الأطراف. وكانوا يلجأون إلى تحليف اليمين ولكن الذي يحلف هو المدعَى عليه.

لقد اخترع الفرنسيون مصطلحات مثل [الإسلام المغربي] و[الإسلام البربري] وشجعوا الطرق الصوفية وعبادة الأولياء بين البربر. وزعموا أن الأعراف البربرية أقرب إلى روح القانون الفرنسي أكثر من قربها من الإسلام. وقدّموا أوامر بكتابة اللغة أو اللهجات البربرية بحروف لاتينية.

وكان الماريشال ليوتي المقيم العام الفرنسي في المغرب، قد أصدر ظهيراً [مرسوماً] في 1914/9/11 الذي اعترف بوجود قبائل بربرية معينة لها عادات وقوانين خاصة، لهذا يلزمنا رعاية هذه الأعراف. ويرى **ديبوا** أن هذا الظهير قد وضع مبدأ [عدم إسلام القبائل البربرية]، وانشيء [المعهد العالي للغة العربية واللغة البربرية بالرباط – 1914]. وصدر قرار سنة 1915م بتأليف لجنة خاصة للأبحاث البربرية وصدر بلاغ رسمي فرنسي في 1915/9/22 يقضي بجعل اللغة الفرنسية لغة رسمية للجماعات البربرية، لمحاربة تعريب البربر كما زعم ديبوا. وخطب **سوردون** سنة 1928 في طلابه الضباط الفرنسيين المرشحين لحكم القبائل البربرية قائلاً [يجب جمع العادات البربرية رغم أنه محكوم عليها بالإندثار ولكن من أجل دمجها بالقانون الفرنسي بدلاً من أن تظل مندمجة في الشرع الإسلامي]. وهكذا أسس الماريشال ليوتي ثم المقيم العام ستيغ ثمّ لوسيان سانت لإعلان الظهير البربري سنة 1930، الذي يفصل البربر

نهائياً عن الشريعة الإسلامية وعن العرب المغاربة. ويمهد لإدماجهم لغوياً وفكرياً في الهوية الفرنسية.

4. ابراهيم أخياط : لماذا الأمازيغية؟

يتناول ابراهيم أخياط [المغرب] المسألة الأمازيغية مركزاً على أبعادها التي يعتبرها أساسية : البعد الحضاري الجغرافي - البشري والبعد اللغوي والبعد الديني والبعد التنموي والبعد الوحدوي.

1. **البعد الحضاري الجغرافي للأمازيغية** : تشير الشواهد التاريخية إلى وجود عنصر بشري يشغل الشمال الافريقي [من موريتانيا عبر المغرب إلى جنوب مصر [سيوا = يسيوان] وشمال النيجر وشمال مالي وبوركينا فاصو، وهو ما جعل كل شبر من أرض شمال إفريقيا يحمل اسماً أمازيغياً، بل نجد كلمة [أمور = الوطن] هي أصل كل الأسماء التي سميت بها دول شمال افريقيا [موريتانيا = أموريتان] أو أمورييتان = الوطن الشاسع. و[Maroc - Maur] حسب الإشتقاقات. وكان ماسينيسا أول ملك وضع مشروعاً للإصلاح الزراعي بشمال افريقيا 184ق.م. لكن هناك من يختزل البعد الأمازيغي بالقول أن الانسان الأمازيغي جاء من مناطق أخرى. إن الأساس البشري لمجتمع الشمال الافريقي هو الانسان الأمازيغي رغم كل التفاعلات مع غيره من الأقوام التي تواردت عليه. وليست محاولة إرجاع نسب الأمازيغ التاريخي إلى غيرهم من الأقوام، إلاّ موقفاً إيديولوجياً ليس له سند علمي، يرمي إلى خلق هيمنة ماحقة لثقافة بعينها [العربية] على حساب الأمازيغية. فالباحثون العرب نسبوا الأمازيغ إلى أصول عربية. والباحثون الفرنسيون حاولوا اصطناع قرابة بين الأمازيغ وأوروبا، إستناداً على

المرحلة الرومانية اللاتينية. ويرى الكاتب ابراهيم أخياط أن نوميديا وقرطاجنة وموريتانيا حضارات أمازيغية. وأن التيار القومي العربي يحاول الايحاء بأن تاريخ المغرب، يبدأ من القرن السابع الميلادي أي منذ الفتح الإسلامي!!

فنقرأ عن [ابن خلدون، أول عالم اجتماع عربي] و[عباس بن فرناس أول طيار عربي] و[طارق بن زياد البطل العربي] و[ابن بطوطة أهم رحالة عربي] مع أنهم جميعاً وغيرهم من الأمازيغ. فلماذا يحرم الأمازيغ من الانتساب إلى أصولهم الحضارية كما يتساءل ابراهيم أخياط؟!! ويضيف : حيث أن العرب مثلاً لا يعرفون المسرح فيكتب عنا نحن المغاربة، كذلك انه ليس لنا مسرح رغم غزارة الإبداع المسرحي في بلادنا منذ 185ق.م حيث كان ينتج الكاتب الأمازيغي تيرنتيوس أفر [Terentius Afer] سلسلة من المسرحيات العالمية. وتقدم الإسقاطات العربية – يقول الكاتب – لنا تاريخنا على أنه من صنع الفينيقيين والرومان والبيزنطيين والعرب، وذلك بتغييب الصانع الحقيقي للتاريخ وهو الإنسان الأمازيغي. وينتقد الكاتب أنصار الفكر القومي العربي الذين وصفوا المسألة الأمازيغية والأمازيغ بأبشع الصفات مثل [أنصار الظهير البربري/أحفاد الماريشال ليوتي/أنصار النزعة الإقليمية العنصرية] وغير ذلك من الصفات التحقيرية. ويرد على هؤلاء بالقول أن الأمازيغ هم الذين أفشلوا الظهير البربري بتمسكهم بالإسلام ووحدة العقيدة والمذهب ورفضهم للإستعمار الأجنبي جملة وتفصيلاً. ويقرر الكاتب أن الظهير البربري بالمغرب هو الوجه الآخر للقومية العربية بالمشرق حيث أن كلاً منهما [الظهير البربري والفكر البعثي العربي] يستهدف النيل من وحدة المسلمين. وينهي الكاتب كلامه عن البعد الحضاري للقضية الأمازيغية بأنه يستهدف تحقيق الحقوق اللغوية والثقافية للشعب المغربي في إطار إعادة كتابة تاريخه

الحضاري وهويته في بعديها العربي الأمازيغي بعيداً عن أية تبعية للمشرق أو لفرنسا].

أعتقد أنّ **ابراهيم أخياط** يقع في نفس منهجية المعادين للأمازيغية حين يساوي بين الاحتلال الفرنسي للمغرب وعلاقات المغرب العربية المشرقية، فهذه المساواة هي أحد عناصر النزعة الأمازيغية بدلاً من البحث عن التقارب مع العرب وهو تقارب طبيعي نسجته علاقات تاريخية طويلة قبل الميلاد [الكنعانيون (الموجة الأولى) والفينيقيون الكنعانيون] التي هي أصل البربر. ومن ساواك بنفسه فما ظلم كما يقولون. فابن خلدون الأمازيغي نفسه هو الذي رجّح الأصل الكنعاني للبربر، كذلك القديس أوغسطين الأمازيغي أكد كنعانية البربر ولم ينكر العرب أمازيغية طارق بن زياد، أما تباهي العرب بعروبة ابن خلدون وطارق بن زياد وعباس بن فرناس وابن بطوطة فهو أمر طبيعي جداً، فهم نتاج التلاحم الأخوي البربري العربي. ففي ظل الحضارة العربية الإسلامية الأمازيغية في شمال افريقيا وإسبانيا، ظهر هؤلاء كأمازيغ معرّبين. ولا تتناقض هويتهم العربية مع هويتهم الأمازيغية، فالهويتان متكاملتان وليستا في حالة تناقض كما يرغب أصحاب النزعة الغرائزية. وهناك عرب تموزغوا أيضاً. **فالكاتب يستخدم موقفاً إديولوجياً غرائزياً أيضاً في مقابل الموقف الإديولوجي القومي العربي الغرائزي لتعريب البربر**. كما أن الكاتب يبدي تذمره من هيمنة ثقافة بعينها [أي العربية]، لكنه لا يبدي تذمره من هيمنة الفرنسية مثلاً. لهذا فالإنسان الأمازيغي في شمال إفريقيا هو نتاج محصلة حضارية [أمازيغية/كنعانية/عربية إسلامية] في الأساس مع تلاقحه الإجباري مع الرومان وهذا لا يلغي أمازيغية الأمازيغي ومغربية الأمازيغي والعربي. فالتحويل الإديولوجي للشخصية الأمازيغية عن مسارها الطبيعي هو ما يطلق عليه [النزعة

الغرائزية] التي لا تستند أيضاً إلى سند علمي، سواءً أكان هذا التحويل الصناعي قومياً عربياً أو أمازيغياً.

2. **البعد اللغوي** : اللغة الأمازيغية هي المرجع الأساسي لتحديد ذهنيتنا وشخصيتنا وانتمائنا الحضاري والفكري كما يقول ابراهيم أخياط، فهي كغيرها من لغات العالم لا تشكو أي قصور أو نقص من حيث كونها أداة تواصل قائمة بذاتها، تتوافر على بنياتها التركيبية والصوتية والصرفية والمعجمية، وتؤدي وظائفها التواصلية والإبداعية والتعبيرية في الأوساط التي تتداولها كلغة حية ومتفاعلة مع غيرها من اللغات المتساكنة معها في نفس المحيط الثقافي [يقصد العربية والفرنسية] وهي في الوقت الراهن تعيش سيرورة تطور نوعي نقلتها إلى التأليف والتدوين بالخطين العربي واللاتيني. فالأمر من الناحية العلمية لا يقبل أي نقاش إديولوجي أو سياسي لأنه من الثابت - كما يقول أخياط - أن اللغتين الأمازيغية والعربية لغتان وطنيتان مندمجتان في الشخصية الثقافية للمغاربة فالعربية لا تخلو من آثار التفاعل مع اللهجات الأمازيغية، كذلك تستعمل العربية في المناطق الأمازيغية في المجال الديني للتعبير عن البعد الإسلامي للثقافة المغربية. لهذا فإن الاهتمام بالأمازيغية إلى جانب العربية يضيف حيوية للشخصية المغربية].

وهنا نقول للأستاذ أخياط أن الكتابة بالحرف اللاتيني، يساهم في إبعاد الأمازيغية عن العربية لأنه يمتلك [شحنة استعمارية] حتى الآن خصوصاً في شمال إفريقيا العربي الأمازيغي.

3. **البعد الديني [الإسلامي]** : الإسلام دين لكل شعوب الأرض، واللغة العربية كانت لغة وثنية كالأمازيغية، ثم أصبحت لغة الإسلام. فعروبة الإسلام حديث قومي عن دين غير قومي. لقد احترم الإسلام

جميع الخصوصيات الثقافية للشعوب. ونحن نرى - يقول أخياط - أن العربية والأمازيغية ليستا لغتين مقدستين بل هما لغتان بشريتان. لهذا فإن الحفاظ على اللغة الأمازيغية لا يتناقض مع الإسلام. كما أن البربر دخلوا الإسلام طواعية.

4. **البعد التنموي** : ضرورة إجلاء المفارقة الصارخة التي تتسم بها السياسة اللغوية والثقافية في بلادنا حيث يتم تهميش اللغة الأمازيغية من كل المجالات الحيوية التي تتشكل منها حياة الأفراد والجماعات في أغلب مناطق المغرب. فينبغي إتاحة الفرصة للأمازيغية لكي تساهم في التنمية بإدماجها في الحقل الثقافي والتربوي والإعلامي والاقتصادي والإداري.

5. **البعد الوحدوي** : الأمازيغية عامل توحيدي يتغلغل في الكيان الثقافي المادي، حيث تتشكل منه عناصر الخصوصية والهوية. فالأساس الأمازيغي يحكم كل سكان شمال افريقيا. وهي عنصر توحيد لكل الأجناس والسكان، انطلاقاً من مبدأ الوحدة في التعددية اللغوية والثقافية في المغرب.

5. المثقفون المغاربة وإشكاليات الأمازيغية :

يقول **عبد الكريم غلاّب في بحث له بعنوان [اللغة والمسألة الثقافية]** بأن اللغة العربية في المغرب تتعرض لمجموعة من التحديات منها :

1. انحدار المستوى الثقافي والعلمي وقد واجهت العربية هذاالتحدي. في الماضي ويستمر هذا التحدي قائماً في ظل ضحالة الثقافة العلمية والأدبية في الوطن العربي.

2. غزو اللغات الأجنبية التي تطورت مع النهضة الأوربية. ورغم التطور الذي عرفته وتعرفه العربية عن طريق الاشتقاق والنحت والترجمة والابتكار فإنها ظلت قاصرة عن مجاراة العصر وقاصرة عن أن تصمد للغزو اللغوي الأجنبي قصوراً معرفياً.

3. أثبت الغزو الأمريكي للعراق بضربها سنة 1991، أنه غير مسموح لأية دولة عربية الخلاص من التخلف العلمي والتقني. وهذا بطبيعة الحال يؤثر على اللغة في مجالها المعرفي.

4. إيمان المسؤولين في الأنظمة العربية بأن اللغة العربية قاصرة أي لا تساير التطور العلمي. ومن المؤسف أن المسؤولين عن التربية والتعليم كانوا في أغلبهم من المصابين بهذه العقدة، بل وصل بعضهم إلى درجة العداء للعربية!!.

ويرى **عبد الكريم غلاّب** أن التعددية اللغوية، ظاهرة عالمية، ففي الولايات المتحدة تتصارع الإنجليزية مع الإسبانية وفي كندا تتصارع الإنجليزية مع الفرنسية وتتصارع الاسبانية مع الكتلانية في اسبانيا. وتتصارع الفرنسية مع بعض اللغات المحلية في فرنسا. وفي سويسرا ثلاث لغات قومية هي الفرنسية والألمانية والايطالية. كذلك تتصارع اللغات في بلجيكا. لكن **اللجوء إلى اللغة الأقوى ثقافياً هو الحل لإشكاليات تعدد القوميات في الوطن الواحد.**

أما التحدي في المغرب – يقول غلاّب – فقد جاء من اللغة الأقوى أي الفرنسية التي مارست قوتها قرناً وثلث القرن في الجزائر وأكثر من سبعين سنة في تونس وأكثر من أربعين سنة في المغرب. وما زالت تتحدى وجودنا الثقافي في المدرسة والإدارة والشارع والحياة العامل بل

في الحياة الخاصة للعائلات المغربية. والحلّ عند غلاّب هو [بلغتنا العربية الوطنية يمكن أن نمارس وجودنا الثقافي. وبلغاتنا القومية الأخرى يمكن أن نمارس جانباً من وجودنا الفني والفكري التخصصي]. وهذا يعني أن نتعلم كل لغاتنا على أن تكون لغة التلقين واحدة حتى يمكن تحدي اللغة الأجنبية].

أما **محمد شفيق في بحثه [الأمازيغية والمسالة الثقافية بالمغرب]** فيرى أن الغرب يميل الآن إلى تخطي الحاجز الإديولوجي [رأسمالية/شيوعية] حيث وصل الغرب إلى قناعة في ثلاث مسائل : 1. رفض التعصب. 2. لم يعد مفهوم القومية [الدولة الأمة] الذي ساد في التاسع عشر والعشرين، مفهوماً مقبولاً، منذ تفجير الذرّة عام 1945. 3. ينبغي أن يتم التكتل انطلاقاً من التجانس الحضاري، الضامن لوحدة التصورات والمقاييس والقيم. ويتعرض محمد شفيق لمسألة **[مراعاة الخصوصيات الثقافية للشعوب الإسلامية]** - لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلاّ بالتقوى]. يقول الجاحظ في البيان والتبيين [يُفسّر القران بالعربية للعرب وبالفارسية للفرس. وما كان يُدرى أهو أفصح في العربية منه في الفارسية أم هو أفصح في الأخرى منه في الأولى]. فالأمازيغية تراث حي للجميع لها خصوصية موروثة عن [طارق بن زياد ويوسف بن تاشفين ومحمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي ويعقوب المنصور وأبي الحسن المرّيني ومحمد عبد الكريم الخطابي وموحا وحمّو وعسّوا وباسلام وسينيزا ويجرثن، ما دمنا نؤرخ للأرض التي عاش عليها الإنسان وليس للعرق. **فالأمازيغ** - يقول محمد شفيق - **[ليس لهم أية عقدة تجاه اللغة العربية، لأنها لم تفرض عليهم ولم يُرغموا على تعلمها أبداً. بل تقبلوها عن طواعية وطيب**

خاطر. فرسخوا أقدامها في المغرب سياسياً باستقبالهم المولى إدريس وإدارياً بخلق أسلوب عربي في المراسلات الرسمية منذ عهد الموحدين وتربوياً بإنشاء مدارس لها على نطاق واسع في عهد المرّينيين وعملياً بتأليف كتب في النحو العربي كما فعل الجزولي وابن معطي واجروم]. وليس هناك خطر من تدريس الأمازيغية - يقول محمد شفيق - في المدارس والجامعات لكن **الخطر يكمن في الإصرار على التذكير بالظهير البربري، كلما ذكرت الأمازيغية**، كما لو كان البربر هم المسؤولون عن الظهير الذي قاوموه وليس فرنسا.

ويقول محمد شفيق [إن تسمية المغرب الكبير بالمغرب العربي الكبير، استفزاز لمشاعر الامازيغ، لأنّ مصطلح المغرب العربي ظهر في الخمسينيات فقط، وذلك تحدياً للمستعمر الذي كان يستخدم مصطلح [المغرب الفرنسي] و[المغرب الإسباني]. وكان رد فعل الأمازيغ بعد تحرير مشروع الدستور عام 1962 أي بعد الاستقلال. والواقع أن لنا نحن المغاربة لغتين وطنيتين العربية والأمازيغية]. ويصبّ الأستاذ محمد شفق جام غضبه على [المشارقة العرب] وعلى التيار القومي العربي في محاولة منه لجذب المثقفين المغاربة العرب لتأييد الحركة الأمازيغية، ويعتبر [عقدة المشرق] خطراً على الثقافة المغربية!!!. وهكذا خرّب الأستاذ محمد شفيق مقدماته المنطقية والعقلانية حول أهمية الأمازيغية في المغرب وضرورة الاهتمام بها بالتمركز حول اختصار ذلك في [**مركزية مغربية قطرية وطنية**]، وكأنّ ثقافة المغرب منفصلة من الناحية الطبيعية عن الثقافة العربية المشرقية ونحن هنا لا نتحدث عن الفكر القومي الحزبي [حزب البعث والتيار الناصري مثلاً] وإنما عن عروبة شعبية تتفاعل مع المغرب الثقافي ويتفاعل المغرب معها بشكل طبيعي. ولم يتكلم الأستاذ محمد

شفيق عن انفتاح الثقافة المغربية على فرنسا بصفته خطراً يعادل خطر المشارقة والقومية العربية!!!. وهو أمر عجيب، من أستاذ مهم جداً في مجال العمل الأمازيغي الثقافي. أما **محمد جَسُّوس في بحثه [أطروحات بصدد الامازيغية والمسالة الثقافية في المغرب]** فيقدم خمس أطروحات أساسية هي :

أولاً : إنّ **للمغرب لغتين وطنيتين ولغة رسمية واحدة** : تداخلت اللغتان في المجتمع المغربي مع وجود الأصول المتعددة [عربي/أمازيغي/أندلسي/صحراوي/زنجي]، منهم من تعرّبوا ومنهم من تمورغوا. فأصبح لنا لغتان وطنيتان العربية والأمازيغية ولغة رسمية واحدة (العربية).

ثانياً : **مناك غموض والتباس في مواقف الحركات الوطنية والثقافية من المسالة الثقافية والمسالة اللغوية على الخصوص**، فنحن نلاحظ أن ما حدث للأمازيغية، حدث للثقافة الشعبية. فقد تحولت الثقافة الشعبية سواءً بمكوناتها الأمازيغية ولهجاتها الثلاث، أو بمضمونها الزاخر الكبير من العربية الدارجة المغربية وتحولت المنظومات التعبيرية عن ثقافة عامة ومشتركة إلى ثقافة طبقية أصبحت تعبر عن حواف وهوامش النظام المجتمعي، فهي مهددة بالتهميش والانقراض. فقد ساهمت النخبة المغربية التي كانت تعيش في المدن والحركة الوطنية في ظهور نظام نموذجي واحد انطلاقاً من هاجس أمني لغوي ثقافي بإتجاه توحيد كل شيء توحيداً فوقياً قسرياً باسم الإسلام والوطن. فالمجتمع بدون اللغة العربية أعور وبدون الأمازيغية أعمى. ولا أرى أية فائدة في الاختيار الوحيد بين الأعور والأعمى.

ثالثاً : لا يمكن أن تكــون **الأمازيغية** في جوهرها - مســألة جهوية، إقليمية، عرقية، عنصرية، عصبية، بل هي **مسألة وطنية وحضارية** تهم كل المواطنين المغاربة، لأنها تمس احدى اللغات الأم **لمجموعة كبيرة من المغاربة تتالف على الأقل من 38٪ من مجموع سكان المغرب.**

رابعاً : نحن مطالبون بتأسيس ميثــاق وطني للتنمية الثقافية في المغرب. يشمل ثلاثة محاور كبرى : 1. اختيار التعريب كإختيار استراتيجي للمغرب لا رجعة فيه. 2. المكانة التي يجب أن تحتلها الثقافة الأمازيغية في المجتمع المغربي. 3. تحديد اختياراتنا بالنسبة للثقافات العالمية الأخرى [أمريكا - اليابان - روسيا - الصين - الهند - والثقافة الإسلامية الفارسية والتركية].

خامساً : أن نلتزم جميعاً على أشكال اللغة العربية والتعريب، بإرساء استراتيجية جديدة للتعامل الثقافي اللغوي والحضاري.ويرى أنّ هناك **خمسة نظم لغوية** في المغرب (الدارجة المغربية أو الأمازيغية/الدارجة المغربية زائد الفصحى/الدارجة المغربية زائد الأمازيغية/الأمازيغية زائد الفصحى/الدارجة زائد الفرنسية]، فهذه ازدواجيات متعددة. ولنا نظم ثلاثية تتضمن إما الأمازيغية + زائد الفصحى، زائد الدارجة أو الأمازيغية زائد الفصحى زائد الفرنسية أو الدارجة زائد الفصحى زائد الفرنسية. ولنا نظم رباعية تتضمن الأمازيغية زائد الدارجة + زائد الفصحى زائد الفرنسية. ولنا عدة نظم خماسية تتضمن الأمازيغية زائد الدارجة زائد الفصحى زائد الفرنسية زائد لغات أجنبية ثانية [الإسبانية والانجليزية

والروسية]، وإحدى أخطر نتائج التعدد اللغوي في المغرب هو التداخلات . فنحن ليس لنا عامية مغربية واحدة لها بنية صرفية وصوتية واشتقاقية. والخطر الفعلي الذي يهدد المجتمع المغربي هو هيمنة اللغات والثقافات الأجنبية وبالدرجة الأولى هيمنة الفرنسية. ويكفي أن نذكر المأساة اللغوية في شمال المغرب، حيث لم يعترف بشهادات اللغة الاسبانية وفرض على أطفالهم الذين كانوا يدرسون بالإسبانية أن ينتقلوا إلى الفرنسية. وهكذا اختارت الطبقات المهيمنة اللغة الفرنسية تحت وهم أن اللغة العربية قاصرة. ويختتم محمد جسوس بحثه بالقول [**شرط مستقبل العربية يوجد في الامازيغية ومستقبل الامازيغية يوجد في التعريب وفي بناء وتطوير اللغة العربية ليس فقط كلغة بل كاداة علمية ومعرفية**].

أما **أحمد بوكوس في مبحثه [اللغة - الثقافة الامازيغية]** فيتطرق للتعدد اللغوي والتراتبية اللسنية فيقدم أمثلة منها :

1. في **الولايات المتحدة** إلى جانب الانجليزية لغات أخرى كالإسبانية واللغات الاسكندنافية واللاتينية والألمانية والسلافية والصينية والعربية ولغة الهنود الحمر.
2. في **النيجر** هناك ست مجموعات لغوية في حدود مساحة، لا تتجاوز [1300000 كلم2] وهي : الحاوسا : 51٪ الصونغاي - زارما : 21٪ - الفولاناني - 21٪ - تامازيغت 10٪ الكانوري 4٪ والتوبو 1٪.
3. **في فرنسا** : لغات رومانية لاتينية ولغات غير رومانية، فاللغات الرومانية هي الفرنسية والأويل والدوك الكتلانية والكورسيكية. أما اللغات غير الرومانية فهي البروتون والباسك والفلامان والالزسيان.

4. **في الفيتنام** : توجد ستون لغة أهمها : القيات والطابو رالميو والهان والكوك نكور والتونج.

5. **في المغرب** : الأمازيغية بلهجاتها الثلاث : تاريفيست وتامزيغت في المغرب الوسيط وتاشلحيت. وتوجد العربية الدارجة بفصائلها الأربع : المديني والعروبي والجبلي والحساني في الصحراء. وهناك بالطبع العربية الفصحى. وهناك لغات أجنبية [الفرنسية والإسبانية]. ويصل أحمد بوكوس إلى أن التعددية اللغوية ظاهرة عالمية.

ومن الناحية التاريخية فإن الأمازيغية تتواجد على أرض المغرب منذ ما لا يقل عن خمسة الاف سنة. وعلى المستوى الجغرافي فهي تنتشر عبر مساحة لا تقل عن خمسة ملايين كلم[2] فهي توجد في مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وجزر كناريا ومالي والنيجر وبوركينا فاصو. لكن أهم مجموعة أمازيغية هي الموجودة في المغرب. وتستعمل الأمازيغية في المجالات اليومية والحياة العائلية وسائر المجالات غير الرسمية أما على مستوى الخصائص السوسيو لسنية فالأمازيغية :

1. لغة لا تتصف بالمعيارية فقواعدها التركيبية والصرفية والمعجمية والصوتية تبقى ضمنية وغير متجلية في كتب ترسم معيار النطق السليم والمعنى الصحيح كما هو الحال بالنسبة لتلقي اللغات المدرسية.

2. اللغة الأمازيغية مستقلة من حيث العلاقة الوراثية فهي حامية، لكنها تشترك مع العربية في العائلة الحامية – السامية.

3 يتحدث بها عشرة ملايين متكلم.

ويتعرض أحمد بوكوس لمسألة الإعداد اللغوي لترقية الأمازيغية :

1. فمسألة كتابة الأمازيغية بخط ملائم ضرورية وهناك ثلاثة خيارات: خط التيفيناغ والخط العربي والخط اللاتيني، لكنه أي أحمد

بوكوس - لا يقرر، لكن ربما كان الخط العربي هو الأكثر ملاءمة للهوية المغربية. ويورد حول موضوع **المعاجم الأمازيغية** بعض المعلومات منها: وجود عدد من المعاجم المزدوجة اللغة [أمازيغية - فرنسية وأمازيغية - اسبانية، وأمازيغية انجليزية] وأخيراً [عربي أمازيغي] من إعداد محمد شفيق. وهناك معاجم خاصة مثل معجم الأمازيغية العامة بإشراف سالم شاكر في جامعة اكس إن بروفانس الفرنسية. ومعجم أمازيغية المغرب الوسيط لميلود الطايفي ومعجم تاريفيست من إعداد محمد الشامي. وقد لعب [معجم أماوال] لمولود معمري دوراً أساسياً في التفكير بالمعجمية الأمازيغية. أما تقعيد النحو الأمازيغي، فقد صدر كتاب [أربعة وأربعون درساً في الأمازيغية] لمحمد شفيق وهو المحاولة الأولى من نوعها صدرت سنة 1991. ويرجع تاريخ العمل الثقافي الأمازيغي في المغرب إلى الستينيات، حيث برزت [الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي].

بطبيعة الحال فإن المغرب [العربي - الأمازيغي] جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، لأن صفة الأغلبية طغت على الاسم [العربي] لأسباب موضوعية ولغته الرسمية هي اللغة العربية الوطنية وليس هذا تجاهلاً لوجود اللغات والأعراق الأخرى [الأمازيغ والأكراد] وحق هذه اللغات الكامل في تطوير نفسها بحرية كاملة في مناطقها. وليس في هذا شوفينية كما يزعم الأستاذ أحمد بوكوس. فالشوفينية تكون عندما يمنع الأمازيغ والأكراد من التعبير بلغتهم عن ثقافتهم. فالأستاذ بوكوس يعترف بوجود تيار انعزالي بين المثقفين الأمازيغ لا يرغب في التقارب مع العرب. والخطر الحقيقي كما قال محمد جسوس يتمركز في هيمنة اللغة الفرنسية.

ونحن نعترف بوجود تيار شوفيني عربي يرفض التآخي مع الأمازيغ والأكراد أو يريد تعريبهم بالقوة ويرفض اللغتين الأمازيغية والكردية، بل

برفض الاعتراف بوجود مشكلة، لكنه تيار ضعيف في الوطن العربي، وهو يقابل التيار الأمازيغي الانعزالي ويلتقي التياران [الأمازيغي الغرائزي والعربي الغرائزي] حول رفض الديمقراطية في الوطن العربي.

6. مناقشات وسجالات مغربية [صحيفة أنوال]

يرى بن يحيى محمد في مقدمة تحليله البيبلوغرافي لمخزون كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط المتعلق باللغة الأمازيغية وثقافتها - أنَّ العروبة والإسلام هما الوسيلتان اللتان كانتا لتعبئة الشعب المغربي ضدّ المستعمر. لكن هناك ثقافة أخرى في الوعي الجمعي المغربي كانت منسيّة هي ثقافة هؤلاء الذين [نسيهم التاريخ] كما يقول غابرييل كامب. فالأمر يتعلق بعدم تعطيل التكامل الغني بين العربية والبربرية. فباسم الوحدة تمّ تجاهل التعددية، خوفاً من [المؤامرات الأجنبية] كما قيل. وتخضع الدراسات حول البربر في العهد الاستعماري لاعتبار كونها دراسات مساعدة للمستعمر. وهي دراسات لا تخلو من موقف منحاز. لكن هذا لا يعني أن فرنسا هي التي خلقت [إيمازيغن] فالأمازيغ موجودون. لكن تاريخ الأمازيغ المكتوب هوتاريخ استعماري، يجب نقده. فالعلم الاستعماري خضع عموماً لمتطلبات المستعمر. ويقول بن يحيى محمد أن [النسّابين الأمازيغ] صنفوا القبائل الأمازيغية تحت صنفين أسريين : البُتْر وهم أحفاد كنعان والبرانس من أصل إفريقي]. لكن القبائل الأمازيغية لا تستخدم مصطلح [البربر] لأنها تستقبحه، بل يستخدمون صفة [أمازيغي =الإنسان الحر]. وحسب رونيه لوكذت، فإن الأجناس التي تعاقبت على أرض البربر هم : 1. الزنوج الأقزام [النضريون]. 2.الأورناسيون. 3.الكروماتيون 4. الزنوج النيوليتيون.

5. الساميون الأوائل والكنعانيون. 6. الكنعانيون الفينيقيون. 7. الرومان. 8. الوندال. 9. البيزنطيون. 10. البربر الشرقيون أو الزناتيون. 11. العرب. 12. المور الإسبانيون. 13. العبيد المسيحيون المهتدون.

وينتهي بن يحيى محمد إلى أنه [لا وجود لجنس أمازيغي صاف].

1.6 . علال الأزهر : المسألة القومية والنزعة الأمازيغية وبناء المغرب العربي :

صدر في المغرب عام 1984، كتاب [المسألة القومية والنزعة الأمازيغية وبناء المغرب العربي] لعلال الأزهر، أثار نقاشاً واسعاً. ونلخص هنا دراستين ناقشتا الكتاب، الأولى لكاتب وقّع باسم (أ.ع) يقول : في تعريفه للأمة العربية يقول علال الأزهر [تكونت الأمة العربية في مرحلة التوسع والاستقرار النسبي الذي عرفته الدولة العربية عقب انتشار الإسلام واللغة العربية وازدهار الحياة الاقتصادية والعلمية التي بلغت أوجها في العصر العباسي الأول. وهكذا فإن التاريخ المشترك واللغة الذين يشدد عليهما ساطع الحصري كمكونين للأمة العربية، قد حافظا فعلاً على الشعور القومي العربي لدى الجماهير العربية مع تفاوت بين مشرق ومغرب]. ويعلق الكاتب بأن مفهوم الأمة الفرنسية نشأ في الثورة الفرنسية، فالجماهير قبل الثورة حاربت إما مع الملك أو ضدّ الملك، من أجل الإقليم إلى حيز الوجود إلا عبر امتلاك الوعي القومي وهو ما حدث في القرن التاسع عشر فقط. فمن الصعب الحديث عن الأمة العربية عشية انتشار الإسلام. لكن يمكن الحديث عن عالم عربي له هوية ثقافية ما. ولم تظهر حركة القومية العربية إلا في القرن التاسع عشر. فهي

نشأت نتيجة الصراع ضد العثمانيين والاستعمار الأوروبي. ويرى علال الأزهر أن حل مشكلة الأقليات لا يمكن حسمها إلا ببناء الوطن الديمقراطي الاشتراكي القادر على حماية حقوق الشعب العربي الفلسطيني وحل مشكلة الأقليات ضمن منظور ديمقراطي].

ويعلق كاتب المقال بأن فكرة القومية لدى الأزهر مرتبطة ببناء الدولة الموحدة، فهو يتطلع إلى إعادة بناء الامبراطورية العربية، أكثر مما يتوخى تثبيت الحرية والمساواة، لأنّ وجود أمة متجانسة كلياً مكونة من عرق واحد وثقافة مشتركة ودين واحد ليس إلاّ أسطورة!! وفق كاتب المقال. وهو يعتقد أن فرض تعريف جامد للهوية مثل [العروبة] على حساب الأكراد والبربر أو مثل [الإسلام] على حساب الطوائف المسيحية واليهودية إنما يعني فرض قوالب تعسفية. هكذا تتحول مشكلة الأقليات إلى تابو ممنوع من الحديث عن نفسه. ويرى علال الأزهر أنّ ما يُسمّى بالنزعة الأمازيغية يرجع لأسباب منها :

1. السياسة التقسيمية التي لجأ إليها الاستعمار الفرنسي بتطبيق الظهير البربري عام 1930.

2. ظهرت النزعة الأمازيغية في عهد الاستقلال في البداية كقناع لصراع سياسي حول السلطة من 1956 – 1961 بين الحركة الوطنية والطبقات التقليدية الرجعية وظهرت بعد 1971 – 1972 للتعبير عن نفسها ضمن مفهوم المطالبة بالتمايز اللغوي والثقافي]. ويصل علاّل الأزهر إلى الاستنتاجات التالية :

1. إنّ النزعة الأمازيغية لا يمكن أن تؤدي مستقبلاً إلى ظهور حركة سياسية أمازيغية، لأن الامازيغ يعتبرون انفسهم هم سكان المغرب.

2. لأن التاريخ المشترك للشعب المغربي الذي تراكم عبر قرون، يحول دون تبلور حركة قومية متميزة تعتمد على العرق الخالص وعلى لغة الحديث المنزلية.

3. لأن السكان الأمازيغ يتكلمون اللغة العربية الدارجة.

4. يمكن دراسة الأمازيغية بلهجاتها الثلاث من زاوية تاريخية معرفية والاهتمام بها على المستوى الأكاديمي.

ويعلق كاتب المقال بأن اللسانيات الحديثة تقول بأن جميع اللغات مؤهلة لمواكبة العصر. فبعض اللغات القديمة تمّ إحياؤها مثل : الباسكية والاسكتلندية والغالية. ويصل كاتب المقال إلى خلاصة تقول : المطلوب هو سن سياسة لغوية تعتمد على مبدأ الشخصية للحقوق اللغوية وضمان للفرد خدمات محددة في لغته إلى جانب اللغة الرسمية التي هي اللغة العربية.

كذلك يكتب **كوشا عبد الله** مقالاً لمناقشة كتاب علال الأزهر، فيقول: من المعروف أن عدة لغات تستعمل في المغرب مع مستويات متعددة وهي : العربية والبربرية والفرنسية والإسبانية. فهناك مثلاً ثلاثة مستويات في اللغة العربية [الكلاسيكية/العصرية/العامية] كذلك هناك ثلاثة مستويات للبربرية [تاريفيت/تامازيغت/تاشلحيت]، غير أن هذا التعدد اللغوي - كما يقول كوشا عبد الله - يتميز في المغرب بتهميش البربرية والعربية العامية. فاللغة قد لا تكون طريقاً لوحدة قطر. بل ظهر مستوى جديد مع هيمنة الفرنسية [مزيج من الفرنسية والعربية]. و[مزيج من البربرية والعربية العامية]. فاللغة الرسمية هي لغة محلية استفادت من ظروف سياسية معينة. واللغة يمكن أن تكون أداة للصراع من أجل

الوحدة الوطنية. ففي بداية الصراع من أجل استقلال **أندونيسيا**، اختيرت [باهاسا أندونيسيا] كلغة وطنية ولم يكن مجموع الناطقين بها سوى عشرة ملايين، مع العلم أن هناك [لغة جافانار] المستعملة من قبل ستين مليوناً. أما في **الفيليبين** فإن اللغة التي وقع الاختيار عليها هي [لغة تاكالوك] وهي المستعملة من قبل ثلاثة ملايين في مدينة مانيلا، بينما عدد سكان الفيلبين يزيد عن ثلاثين مليوناً. ويصل كوشا عبد الله إلى خلاصة هي أن اختيار لغة معينة لتكون رسمية لا يعني اللغة التي يفهمها أغلبية السكان. ثمّ يعود إلى المغرب ليقول : من المعروف أن جانباً كبيراً من المغاربة ، يتكلمون البربرية وقيل أن عددهم خمسة ملايين وهو رقم مشكوك فيه. وهو يقترح إلى جانب الاهتمام باللغة العربية، الاهتمام بدمج البربرية والعامية العربية. ويصل إلي خلاصة تقول : إن احتقار اللغات المحلية في أمريكا اللاتينية والشعور بالدونية أدى إلى هيمنة الإسبانية والبرتغالية، لغة المستعمر. بينما نجحت الباراغواي في جعل لغة [القاراني] تأخذ مكانتها إلى جانب الإسبانية.

ويناقش **عبد الله بونفور** في دراسة له كتاب علال الأزهر، حيث عرض للكتاب وأطروحاته عرضاً أميناً. وناقشها واحدة واحدة ومنها : فالدولة المركزية هي تجسيم للفكرة الوحدوية العربية عبر التاريخ، أي أنه لا وجود لوعي وحدوي – وفق علال الأزهر – دون وجود دولة مركزية قوية. ويعلق بونفور قائلاً : إن الدولة المركزية تحارب لتوحد ولكنها تحارب أيضاً لتتميز، توحد ما هو متشابه وتعارض أو تكبت ما هو مختلف. فالأمازيغي متشابه والمسيحي الأوروبي مختلف. فالدولة الإسلامية تصبح شرعية عندما تدافع عن الدين والأرض، بغض النظر عن نوعية الحكام. فالأزهر مع دولة إسلامية عسكرية مركزية تقضي

على كل المخالفين. إنه مفهوم ثابت للفكر الإسلامي الأرثوذكسي. فالأمازيغ مضادون للدولة مسبقاً وفق علال الآزهر. وهم لا يكونون شعباً والنزعة الأمازيغية استعمارية. ويعلق بونفور [الكرم الوحيد لدى علالّ الأزهر هو الحل الديمقراطي بدراسة الأمازيغية من زاوية معرفية على المستوى الأكاديمي بشرط أن يكون هناك من يريدها]. وينصح بونفور – علال الأزهر بقراءة كتاب فتح أمريكا لتودوروف حول مسألة الطبيعة المخالفة للآخر، حيث تخريب حضارة باسم حضارة أرقى!!!. ويصف كاتب اخر [علي يكن] بأن كتاب علال الأزهر مشبع بنزعة بعثية شوفينية!!!.

6. 2. عبد الله بونفور : الأمازيغية والمغاربية :

في مقالته [البرابرية والمغارب] المنشورة في مجلة تافسوت سنة 1983 يقرر عبد الله بونفور، ما يلي :

أولاً : إنّ التقويم الأسطوري للتاريخ البربري [يوغورتا وطنية مضادة للامبريالية الرومانية] ولبنية اجتماعية بربرية [الجماعة الديمقراطية]، هذا التقويم الذي يحنّ له البعض، بشكل مبرر، لا يمكنه أن يقدم بجديّة مسألة التمايز البربري اليوم، دون انتقاد راديكالي للتاريخ والمجتمع المسمّى بالبربري. فهذا التاريخ وهذه البنيات الاجتماعية البربرية ليس لها القدرة على حماية وجودهما الخاص. فما يبقى هو اللغة وبعض الممارسات التكنولوجية والحرفية!!.

ثانياً : إنّ الباحثين في القضايـــا البربرية يعتقدون أن اللغة العربية هي لغة الغازي وأن البربرية ليست لغة مكتوبة وبالتالي يقترحون الفرنسية بديلاً. إن الوثائق البربرية التي اطلعت عليها في الجزائر لا تمثل وجهة النظر هذه. وفي كل الأحوال لا يمكن لأي شـــخص أن يدافع عنهـــا. والصـــحـــيح أن البـــربر والعـــرب والإسلاميين متفقون على تدريس الفرنسية باعتبارها [مدخلاً إلى التكنولوجية المعاصرة].

ثالثاً : هناك حديث عن الأقطار المغاربية [مغارب الشعوب]، لكن دون تحديد ذلك. فجمال الدين بن شيخ يتحدث عن فولكلور عاجز عن منح أشياء كبيرة وأنا أحيله لشعر الأطلس وشعر الريف بمحتواه النضالي. فالمستعمرون درسوا هذا الأدب لتدمير الكراهية التي يكنها هؤلاء الأمازيغ [الفولكلوريون] وفق جمـال بن شيخ – للمستعمر. والسؤال الرئيس بالنسبة للأقطار المغاربية هو هل ستبنى على التعددية أم وفق الصوت الموحد؟!! فإذا اختار التعددية فسوف يكتشف هويته الحقيقية وتاريخه الحقيقي.

وفي مقال آخر لعبد الله بونفور [صحيفة أنوال – 1985/12/7] بعنوان [الثقافة والسياسة في الحركة الأمازيغية بالمغرب]، يحدد مفاهيم الحركة الأمازيغية على المستوى السياسي والثقافي.

1. **المستوى السياسي** : هناك ثلاثة أحزاب مغربية تعلن عن هويتها الأمازيغية هي : **الحركة الشعبية [المحجوبي أحرضان] وحزب التقدم الليبرالي [الدار البيضاء] وحزب العمل [الرباط] منذ السبعينيات**. وقد كرست النشأة المتزامنة لهذه الأحزاب شرخاً مزدوجاً : **أولاً** : ابتعاد البرجوازية السوسية المقيمة بالدار البيضاء

عن حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي كان مهيمناً في أوساطها، لكنها لم تمنح الثقة لحزب الحركة الشعبية. **ثانياً** : عجز هذه البرجوازية عن التوافق مع المثقفين الناطقين بالأمازيغية. مما أدى إلى ولادة حزب العمل. **وهذا الانشقاق المزدوج كشف أموراً عديدة منها** :

1. عدم وجود عمل فكري ناضج بالنسبة للأمازيغية.
2. لم يكن لهذه الأحزاب مشروع سياسي بل تصوروا أنفسهم كجماعات ضاغطة.
3. ضعف المعرفة بالتيارات الإديولوجية الأكثر قدرة على التعبئة في صفوف المثقفين فقليل من المثقفين التحقوا بهذه الأحزاب.
4. سوء تقدير الوزن الرمزي للحركة الشعبية رغم أنها كانت في حالة انحسار.
5. تسمى هذه الأحزاب أمازيغية لأن زعاماتها أمازيغية وبسبب شعارات الدفاع عن اللغة الأمازيغية. ولهذا يمكن الأخذ بفاعلية الحركة الشعبية [أحرضان] لأنها ممثلة في البرلمان وتؤثر في قرارات الدولة.
6. **حزب الاستقلال (الإسلام) والاتحاد الاشتراكي** [عروبة]، لم تطعن في الخيار الأمازيغي، لأنها تضم مناضلين أمازيغ. فالأمازيغ يحددون موقفهم من الأحزاب وفق طروحاتها لمسألة الأمازيغية، وهذه النزعة لا يجب المبالغة في اهميتها ولا التقليل من شأنها.

ثانياً : المستوى الثقافي : توجد حركة ثقافية أمازيغية لها خصائص متعددة :

1. توجد على الأقل اربع جمعيات أمازيغية ساهمت – رغم ضعفها – في خلق دينامية الاهتمام، كما جمعية [الناضور] التي تقيم مهرجاناً شعرياً.

2. تساهم هذه الجمعيات في جمع وتسجيل ونشر اللغة والثقافة الأمازيغيتين.

3. ساهم وجود الجمعيات على ولادة تفكير مزدوج الأول تفكير علمي خالص في مجال اللسانيات والأدب والثاني تفكير إديولوجي حول وضعية الأمازيغية في المغرب.

4. الإنتاج الفني في مجال الشعر والموسيقى بعد أن ظلّ الاهتمام محصوراً في فلولكور القدامى والبادية.

5. تخليص الأمازيغ من العقدة تجاه لغتهم وثقافتهم.

ثالثاً : البعد المغاربي للأمازيغية : يتبنى عبد الله بونفور ما ورد في مقالة لسعدي وشاكر [الجزائر، مجلة تافسوت] حول الفوارق بين الحركة القبائلية والحركة الأمازيغية :

1. نظام الحزب الواحد في الجزائر لا يسمح للبربر بأي تعبير سياسي.

2. النزعة العربية المتشددة للطبقة السياسية الجزائرية مقابل النزعة العربية – الإسلامية للطبقة الحاكمة المغربية.

3. وجود أهداف واضحة للحركة الجزائرية الأمازيغية في مقابل خطوات متعثرة في المغرب.

4. وجود تضامن بين الناطقين بالبربرية في الجزائر وهو أمر منعدم في المغرب.

5. الملامح المشتركة بين الجزائر والمغرب، تتمثل فيما يلي :

أولاً : هنا وهناك يجري اعتبار الأمازيغية غير شرعية.

ثانياً : السماح بنوع متحفي فولكلوري فقط للثقافة واللغة الأمازيغيتين.

ثالثاً : رغبة واضحة للبربر في تحقيق هويتهم والدفاع عنها.

ويختتم عبد الله بونفور بخلاصة هي أنه يجب تسوية وضعية اللغة الأمازيغية وانتاج أدوات تلقينها ونشرها ولا يمكن القيام بذلك على مستوى جهود [مناطقي] بل هو من عمل الباحثين والجامعيين. أما إذا لم يتم ذلك فإن مصير البربر سيظل محدداً في إطار الدولة المركزية حتى لو كانت وطنية. وقد تتكرر البلقنة المشؤومة لتاريخ البربر].

6. 3. الفرنسية والتعددية المغاربية :

يرى **فريد نعيمي** أنَّ تاشلحيت [الأطلس] وتامازيغت [الريف] وتاقبايليت [الأوراس] وتاماشيقت [الصحراء الوسطى] ارتبطت بالسكان بشكل طبيعي وأنه لم يسبق في الماضي أي عداء بينهم تجاه العربية التي أخذها الشلوح والأمازيغيون والقبايليون كجزء من هويتهم وتراثهم. ويرى أن الدول تعلن عن اللغة العربية لغة وطنية ورسمية، لكن الواقع يقول أن الفرنسية هي المستعملة في القطاعات الاقتصادية والتجارية والبنكية والإدارية. كما يلاحظ أن [دعاة التعريب] هم أول من يرسل أبناءهم لتعلم الفرنسية بصفتها – عندهم – لغة المستقبل. واللغة العربية عند الأمازيغ هي لغة الإسلام يتوجه بها هؤلاء إلى ربهم في صلواتهم.

ويقول :لقد فتحت أبواب التعليم أمام برجوازية فاس والرباط وتطوان، لهذا فتحت أمامهم الوظائف في الدولة، أما نخبة الأطلس

الأمازيغي فقد أصبحوا كبار ضباط الجيش. أما الوعي الأمازيغي فله ثلاثة أبعاد : 1. الانتماء إلى لغة منطقته الأصلية. 2. الانتماء إلى القطرية المغاربية [الجزائر أو المغرب]. 3. الانتماء إلى الجماعة العربية - الإسلامية. وتتفاقم المشاكل المناطقية حين ترمي كل منطقة بأسباب شقائها على منطقة أخرى. وهناك تأثر واضح بالدعاية الغربية ضد العرب، كما تزدهر في أوروبا المدائح في الكتابة تجاه مقولات الخصوصية والهوية، حيث ازدهر المذهب الإثنغرافي. ولكن حتى لو نجح البربر في توحيد المستوى الكتابي للأمازيغية تبقى مشكلة إمكانية هذه اللغة أو عدمها في مواجهة تحديات المستقبل. فهل يسبب عقدة أن يكون القديس البربري الذي كان يتكلم الأمازيغية قد كتب باللاتينية وأنَّ البكري والمختار السوسي قد كتبوا بالعربية؟!!

ويتساءل : أليس الأمر يقع في باب تزييف الوقائع أن نقول إن هؤلاء كتبوا بغير الأمازيغية نتيجة [الخوف والجبن] ثمَّ أليس تزويراً أن يزعم البعض أن تفكك الأمازيغية إلى لهجات هو [رغبة الغزاة!!]؟؟!!!. أم أن الأمر يعود إلى ضعف هذه اللهجات. فعندما **قرر فرانسوا الأول سنة 1539م اللغة الفرنسية كلغة رسمية موحدة**، لم يمنع اللغات المحلية الأخرى من التعبير عن نفسها. ولم تدخل الفرنسية إلى المدرسة إلاّ بعد حركة الإصلاح البروتستانتية. أما بالنسبة للمدارس الكاثوليكية فقد دخلتها الفرنسية في النصف الثاني من القرن السابع عشر. أما بالنسبة للتعليم العام فقد حلت الفرنسية محل اللاتينية في منتصف القرن الثامن عشر فقط. فلم تكن الدولة أو المدرسة سبباً في التعميم التدريجي للفرنسية. فالمرة الأولى التي فكر فيها شخص في فرض الوحدة اللغوية لفرنسا بقوة القانون كانت في عهد الثورة سنة 1794م عندما طالب هنري قريقوار الأسقف اليساري بتدمير اللغات المحلية لتسريع وحدة فرنسا. **وفي عام 1903 فقط أمر كومب بأن تصبح الفرنسية لغة الأديرة.**

ويرى النعيمي أن الإلغاء التدريجي للغات المحلية يعود إلى سببين : **أولاً** : دور باريس المركزي. **ثانياً** : تخلف اللغات المحلية عن مواكبة الفرنسية. ثم جاء لاحقاً دور المدرسة والخدمة العسكرية. ففي عام 1894م كان هناك عشرة ملايين فرنسي لا زالوا يتكلمون باللهجات الأوكسيتانية. ومع سقوط اللهجات نشأت حركة رومانسية لإحياء اللغات المحلية في القرن العشرين بقيادة **الشاعر مسترال Mistral**. الذي أراد جعل اللغات في جنوب فرنسا موحدة للرد على تحدي الفرنسية. لكنه وجد نفسه أمام عقبات تشبه العقبات التي تواجه دعاة الأمازيغية.

1. كيف يمكن علاج تجزؤ لغة Oil إلى عدة لهجات؟
2. كيف العمل للحفاظ على نقاوة تلك اللغات (اللهجات) التي غزتها الفرنسية منذ زمن طويل؟
3. كيف العمل على جعل السكان المتعلمين يتكلمون بلغة **بالفليبر** Féliber وليس بالفرنسية.
4. كيف يمكن تجاوز تأخر تلك اللغات (اللهجات) قياساً على الفرنسية؟
5. كيف يمكن إقناع فلاحي الجنوب الذين لم يتفرنسوا بشكل كامل بوحدة مظهرية لغوية وإملائية لتلك اللهجات؟ وكيف يقنعون أبناءهم بترك الفرنسية التي يحصلون من ورائها على عمل.

وقرر مسترال القيام بخلق وحدة كتابية مشتركة لجميع تلك اللغات لتغطية الانقسام اللهجي بينها فاصطنعوا [لغة فليبر]، وتوفي ميسترال سنة 1917م وما زالت البروفانسية مجرد حلم، كما يقول النعيمي، رغم أن محاولات إحيائها مستمرة حتى الآن.

ويعد المثال الفرنسي يستعرض فريد نعيمي **المثال الإيرلندي** حيث كانت الايرلندية لغة ذات تقاليد أدبية هائلة في القرون الوسطى ثم

تدهورت وتحولت إلى لهجة. وفي عام 1920م قررت حكومة ايرلندا الجنوبية – تحويلها من جديد إلى لغة إجرائية للمدرسة والإدارة لكي تصبح الايرلندية – الأم – محل الانجليزية، ولكن دون جدوى. وعلى كل ما سبق يقيس النعيمي مسألة اللغة الأمازيغية قائلاً : ما يشغل بال المواطن الأمازيغي السوسي والريفي والأوراسي ليس الحفاظ على خصوصيته بل كيف يصبح مثل برجوازي المدينة الغني المتعلم. وحول ذلك يقول :

أولاً : تنتمي اللهجات البربرية في أصولها ونظامها النحوي إلى نفس الأسرة اللغوية التي تنتمي لها للغة العربية. ومنذ 1300 سنة تم تعريب وإسلام شمال افريقيا بدرجات متفاوتة، مما يعني أنَّ العربية تساكنت مع اللهجات البربرية، دون أن تقوم بالقضاء عليها. فالمطلوب هو تسريع تعليم السكان باللغة العربية التي أصبحت لغة العلم والمعرفة.

ثانياً : لقد شجب آلان تورين، عالم الاجتماع الشهير هذا الانشغال بالهوية على حساب النضالات الاجتماعية الحقيقية. ويتساءل فريد نعيمي في نهاية بحثه قائلاً : في الجزائر مثلاً الا يقوم أنصار الحركة الأمازيغية بمنح مبررات لأنصار التطرف الديني لتعزيز شعاراتهم وتقوية أنفسهم، تحت شعار [الدفاع عن الوحدة الوطنية!!].

أما **أحمد معتصم** في مقالة له بعنوان [اللغة الفرنسية والتعددية المغاربية] فيبدأ كلامه بالإقرار أن العربية والفرنسية لا تعيشان في حالة إخاء في المغرب وتونس والجزائر، لكن الفرنسية لم ترفض نهائياً كلغة مستعمر.

وفي تونس تُبنيّتْ الازدواجية اللغوية دون إعادة نظر مستمرة. لأسلوب الازدواجية. وتبقى الجزائر في سياستها التعريبية أقل تعريباً من تونس. أما المغرب فيقع في منطقة وسطى بين وسياسة تونس وسياسة الجزائر. أما الإبداع فيعيش مع أوروبا ومع العالم العربي والإسلامي.

أولاً : الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية : عاش هذا الأدب دون أن ينفصل عن ازدواجيته الفرنسية المغربية.

ثانياً : الثقافة المغاربية وأسسها العربية الإسلامية : لم تنفصل عن العروبة والإسلام ولا عن المراحل الكبرى في التاريخ منذ الدولة العباسية ثم الأندلسية مروراً بالعلاقات اللاتينية الأولى. أما نتاج المعركة الثلاثية الحديثة فقد تمثل في إنجاز ثقافي سار في الطرق التالية : ضدّ الإستعمار من فلسطين إلى المغرب الكبير وضدّ الظلم الاجتماعي الداخلي وأخيراً ضدّ أو مع الاديولوجيات الحديثة.

ثالثاً : الإنجاز اللهجي العربي : يبدو أن اللهجة العربية تروج لنسق مشترك متميز.

وتنشر صحيفة **أنوال** [فبراير 1986] مقالاً عن وضع اللغات في فرنسا في ظل الاشتراكيين فقد اتخذت الحكومة الفرنسية قراراً بتأسيس [المجلس الوطني للغات والثقافات الجهوية لفرنسا] واتخذ قرارات بشأن اللغة البروتانية والباسكية. ويضمّ المجلس مختصين، بعضهم من أصول اسبانية وبرتغالية، والاهتمام باللهجة البربرية المغربية الجزائرية، كذلك العربية المغربية الدارجة وهما اللهجتان الأكثر استعمالاً بعد الفرنسية في فرنسا. كذلك اللغة الأرمينية والعبرانية. أما اسبانيا فقد سمحت للغة الكاتلانية أن تصبح إجبارية إلى جانب الاسبانية في مدارس كتالونيا.

6. 4. قيس مرزوق ورياشي : عناصر لفهم الإشكالية :

يقول قيس مرزوق ورياشي بأنه حين يكون أغلب المواطنين أميين، تبقى الديمقراطية حكراً على تأويل النخبة. فالأمازيغية إشكالية فعلية، يتخذ دلالتها من خلال التعارض [مشروعية/لا مشروعية] إن رفض أية مشروعية للأمازيغية هو رفض لا تاريخي . ولكن لماذا طرح التعريب في الستينيات وطرحت الأمازيغية في نهاية السبعينيات؟!!. لقد تفاقمت الهوة الطبقية بعد الاستقلال وظهر معها الشعور الاقليمي نتيجة للتطور اللامتكافيء للمناطق مع تدعيم المركزية. مع صعود النسق الامبريالي الذي حاول طمس المعالم التحررية للثقافات الوطنية في المجتمعات التابعة.

أولاً : التاخر التاريخي في طرح الأمازيغية : يمكن إرجاعه جزئياً إلى الدور السلبي للحركة الوطنية تجاه هذه المسألة، حيث كانت منشغلة في تعبئة الشعب ضد الاستعمار. ومن سلبيات الحركة الوطنية – وفق ورياشي أيضاً – اعتمادها على عنصر الدين [الإسلام واليهودية] كعنصر أساسي في بلورة الاديولوجيا الوطنية. كذلك عدم الربط بين الوطنية واستراتيجية للتحرر الشامل. وقد استخدمت الحركة الوطنية [الظهير البربري 1930] الذي صاغه الاستعمار الفرنسي وسيلة لخطابها الإديولوجي الوطني، لكنها من جهة أخرى استعملته أيضاً لدعم إديولوجيا طبقية وتبرير المركزية. وهذا مستمر في الصحافة المغربية حتى الآن. وهذا يدلل على أن الحركة الوطنية ما تزال تعيش [عقدة التجزئة] وإما أنها عاجزة عن طرح تصور شامل للتحول الديمقراطي، إذا عرفنا أن منطقتي [الريف وسوس] اللتين ساهمتا بدور فعّال في حركة النضال المسلح ضد الاستعمار، ما زالتا من أكثر المناطق فقراً.

ثانياً : إنّ جدلية [الاعتراف/إنكار] في حقل الأمازيغية التي تعترف بالأمازيغية كمشكل إديولوجي يقابله إنكارها على مستوى الدوافع [التدابير السياسية والقرارات الإدارية]. والحل هو في التعامل مع الأمازيغية كواقع قابل للبحث والتشريح والتأويل استناداً إلى العلوم الإنسانية الحديثة، بإزالة الطابع الأسطوري الذي يسم حقل الأمازيغية.

ثالثاً : يعتقد قيس ورياشي أن الحل العادل للأمازيغية لايمكن أن يتجسد بالملموس إلا عبر سياسة اجتماعية تدمج الأمازيغية كمكون ثقافي في البنيات التعليمية والثقافية والإعلامية مع اعتماد مبدأ المرحلية في التطبيق. وهذا يقتضي إدماج الأمازيغية في الدراسات الجامعية كحقل مستقل وتقديم الدعم المادي والمعنوي للإبداع الأمازيغي وتفتح وسائل الإعلام على حقل الأمازيغية.

رابعاً : أما شرط الإدارة السياسية فيجب أن يتوافر، ويصف المواقف الحالية بما يلي : إما استبدادية بالإلغاء والمنع والنفي وإما توفيقية بأسلوب التدجين الذي يتبنى الأمازيغية شكلياً. وإما الحل الوطني الديمقراطي بدمقرطة هياكل الدولة والمجتمع. فالصراع ليس صراع لغات فهذا الصراع الوهمي منقول من الصراع الطبقي إلى الصراع الأسطوري. فالتخلص من العائق الإديولوجي يقتضي التخلص من عقدة ربط البربر بعقدة التجزئة، كما لو كانت الأمازيغية لغة التجزئة والعربية لغة الوحدة!!. فهذا من الأوهام الشائعة.

6. 5. أقضاض محمد : الثنائية اللغوية في المغرب

يقرر اقضاض محمد بأن العربية والأمازيغية تعايشتا معاً وتكاملتا، ومن تجليات ذلك كما يقول – ما يلي :

1. لم يحظ التاريخ المغربي صراعاً وعداءً بين اللغتين. ولم تحاول الأمازيغية إزاحة العربية عن سلطتها الرسمية كلغة كتابة.
2. غياب اعتبار الأمازيغية نقيضاً للعربية تعاني من اضطهادها وإخضاعها بسلطة القوة.
3. استيعاب الأمازيغية لثروة كبيرة من ألفاظ عربية.
4. رغم استقلالية اللغتين فقد عبرتا عن نفس المضامين الثقافية، عبر التاريخ فكونتا الثقافة المغربية.
5. وجود تداخل بين الأمازيغية والعربية في بعض التراث الشعبي المغربي [خاصة في الأحاجي والحكايات].

لكن الكاتب يرى أن الدعوة إلى إحياء الأمازيغية دعوة واهية، بسبب صعوبة تحولها إلى لغة التدوين والبحث العلمي ولأنها غير متجانسة. بل هو يرى استحالة خلق أمازيغية موحدة، ولن تضع الأمازيغية نفسها بديلاً للعربية] كما يتوقع.

7. خلاصة

أولاً : عندما صاغت الحركة الوطنية السياسية في المغرب، عناصر الهوية ربطتها بالإسلام والعروبة والتاريخ المشترك، ونسيت عنصر الأمازيغية أو أجّلت البحث فيه بسبب أولوية النضال ضد الاستعمار خصوصاً منذ سنة 1930. وهذا أمر منطقي آنذاك، لكن تجاهل الأمازيغية بعد الاستقلال كلغة وطنية ليس له مبرر.

ثانياً : ظلّت المشاعر الأمازيغية منكسرةً، بسبب الربط الغرائزي الدائم للهوية الأمازيغية بفكرة التجزئة والظهير البربري الذي صاغته فرنسا الاستعمارية 1930 لفصل العرب عن البربر وفصل البربر

عن الإسلام، رغم المشاركة الأساسية للبربر في النضال الجماهيري والمسلح ضدّ الاستعمار. مما ساهم في تأجيل بحث شرعية الثقافة الأمازيغية كمكون أساسي في الثقافة المغربية.

ثالثاً : لعب التيار الأمازيغي [الغرائزي الانعزالي] دوراً في خلق [التاريخ الأسطوري للبربر]، كما لعب المنع من جهة أخرى دوره في التضخيم الرومانتيكي لهذا التاريخ الأسطوري. ولعب التيار اليساري الديمقراطي دوراً مهماً في عقلنة المسألة الأمازيغية بوضعها على طريق الحوار العقلاني. وكان يجب أن تتحول من الحقل الإديولوجي السياسي بإيحاءاته السلبية إلى الحقل المعرفي الخالص كخطوة أولى في الاتجاه الصحيح. ومع هذا ظلت الأمازيغية إشكالية هادئة في المغرب، بسبب النضج السياسي والثقافي، على عكس الصخب والعنف في الجزائر.

رابعاً : يرى بعض الباحثين المغاربة أنّ مركزية الدولة أدت إلى إقصاء المشاركة البربرية في الحياة المدنية، لأنّ البربر ينتمون إلى مناطق بدوية وريفية فقيرة. وأنّ مسألة الأمازيغية تندرج في إطار الصراع الطبقي وفي التنمية اللامتكافئة بين المناطق المغربية، أكثر من كونها مشكلة هوية!!.

خامساً : لا توجد إحصائيات دقيقة في **المغرب** حول عدد الناطقين بالأمازيغية [محمد جسّوس يقول حوالي 38٪ من المغاربة] و[أحمد بوكوس يقول إنهم عشرة ملايين]. بينما يقول عبد الرحمن الجيلالي أن عدد الأمازيغ هو 30٪ من السكان في **الجزائر** وأن عدد الناطقين بالأمازيغية في الجزائر هو 25٪. لكن جميع هذه الإحصائيات غير دقيقة بالتأكيد، كما أنّ الاديولوجيا والسياسة والهوى تمنع ظهور إحصائيات دقيقة، إلاّ إذا انتقلت المشكلة من

الحيز السياسي إلى الحيز المعرفي. وإذا كانت الدول قادرة على تقديم إحصائية دقيقة على مستوى اللغة، فإنّ مستوى الهوية يبقى مجهولاً، خصوصاً أن الأمازيغية روح ثقافية، أكثر من كونها انتماءً عرقياً. فمن الصعب تحديد ماهية العرق الصافي، لأن المغاربة جميعاً يشتركون في الروح الأمازيغية والروح العربية والروح الإسلامية.

سادساً : أية لغة قادرة على التطـــور وأية لغة قابلة للانقراض. ولا يمكن تطوير اللغة صناعياً ما لم تكن عناصرها الجوهرية، قابلة للتطور. لكن المطلوب في حالة الأمازيغية هو الاعتراف بشرعيتها الوطنية وتقديم الدعم المادي والمعنوي لها، لكي تتنفس في فضاء الحرية إلى جانب اللغة العربية كلغة وطنية رسمية موحدة للبلاد. وما أخشاه أن لا تقوم الانتلجنسيا الأمازيغية المغربية بواجباتها الأساسية تجاه اللغة الأمازيغية، فيؤدي هذا إلى تقهقرها إلى الخلف. ويؤدي هذا إلى عودة الجدل البيزنطي حول من المسؤول الدولة أم الأمازيغ أنفسهم. فالدولة لا تصنع لغة وإنما تمنح الحرية للأمازيغية الموجودة فعلاً على أرض الواقع. فالمقياس هو مدى تغلغل اللغة في الحياة نفسها مستقبلاً. كما أن الحلّ الفلكلوري المتحفي لأية لغة ليس حلاً. فالوضوح أفضل.

سابعاً : الإنطلاق من منهـــج التقارب بين العـــرب والبربر هو المنهج الصــحيح، بدلاً من منهج تعريب الأمـــازيغ بالقـوة، أو المنهج الغرائزي لدى بعض الأمازيغ في البحث عن عناصر الاختلاف الأسطورية. وإذا كان العرب والأمازيغ يجمعون على عنصري [الإسلام – المغربية] كعناصر أساسية للهوية، كذلك التاريخ المشترك والأرض المشتركة، فإنه يصبح مطلوباً تعميق عنصر العروبة الأخوية لدى الأمازيغ، بعيداً عن العروبة الرسمية

والحزبية، فهناك عناصر كثيرة من العروبة موجودة لدى الأمازيغ. ويصبح مطلوباً تعميق عنصر الأمازيغية المغربية لدى العرب بالتكامل وليس بالتناقض. فالطرح التناقضي لمسألة حسّاسة، يؤدي إلى انتصار التيار الغرائزي لدى الأمازيغ والعرب. والأهم هو عدم التهرب من طرح المشكلة على طاولة الحوار العقلاني الهادئ»، وقد يتسبب هذا في حماس عاطفي لا جدوى منه في البداية، لكنه مع الشفافية يتحول إلى حوار عقلاني. أما النظر من قبل بعض مثقفي المغرب إلى المشرق (بتوحيده في كتلة واحدة] أو ما يُسمّى [العقدة المشرقية] فهو يندرج في إطار الفكر الغرائزي، لأن المشرق نفسه ليس موحداً تجاه الإشكاليات المغاربية. فالمشرق ابن عم المغرب في التوحد والاختلاف، فكيف من الناحية العلمية نُساوي بين البعثي المشرقي والشيوعي المشرقي والإسلامي المشرقي والليبرالي والقومي الكنعاني الديمقراطي واليساري ونضعهم في سلة واحدة هي سلّة الجغرافيا، وكيف نساوي بين مثقف مشرقي ديمقراطي عاش في الأقطار المغاربية، وله صلة روحية معها وبين مثقف مشرقي يتلقى ثقافته عن المغرب من وسائل الإعلام. لكن المشرق والمغرب يلتقيان بدرجة كبيرة وبالتأكيد أكبر من درجة العلاقات المغاربية الأوروبية لأسباب عديدة.



الفصـــل الرابـــع

3. الثقافة الأمازيغية في المغرب والجزائر



1. ثقافة شعبية أمازيغية :

يقول محمد السوسي بأن علماء الثقافة الشعبية يجعلون لها خصائص في مقدمتها – الشفهية والأخذ المتوارث غير الخاضع للتلقين، بالإضافة إلى أنها ثقافة العامة وليست ثقافة الصفوة. فالموروث الشعبي هو ما ورثته الأمة من آداب فصيحة وعامية لها وظيفة جماعية وفنون متنوعة مثل : العمارة والزخرف والخط والموسيقى والرسم ومن قيم وعادات وتقاليد شعبية تبرز هويتها. بالنسبة للمغرب تضاف الأمازيغية وتراثها إلى جانب التراث العربي]. وفي صيف 1988 عقدت جامعة أغادير الصيفية دورتها الثالثة حول الثقافة الشعبية وآفاقها، ونشرت [صحيفة العلم المغربية – 1988/8/13] ملخصاً لمحاضراتها، نلخصه بدورنا فيما يلي :

1. اللغة : قال محمد شفيق بأن سبب الاهتمام باللغة الأمازيغية يرجع إلى أنها في طريقها إلى الانقراض، مع أن ميزتها أنها بلورت وصاغت ذهنيات المغاربة ومنهم المعرّبون، فاللغة الأمازيغية لغة حيّة، قائمة بذاتها وهي اللازمة لكيان شمال افريقيا منذ القدم.ودعى محمد شفيق إلى ضرورة كتابتها بالحروف العربية مع مراعاة الفوارق بين اللهجات من حيث المعجم. أما ميلود الطايفي فقد حاول دراسة سبع لهجات أمازيغية في الشمال ولهجتين في الجنوب. ومن المشاكل التي واجهته : مشكلة تصنيف المادة فمن الصعب إخضاع اللهجات للتصنيف الأبجدي ما دامت الأمازيغية لا تمتلك حروف أبجدية مرتبة. ومشكلة التماثلات الدلالية والأخطار التي تترتب عن محاولات كتابة الأمازيغية بحروف عربية. أما مفتاحه عامر فقد حاولت مع فريق من الباحثين وضع

قاموس عام للأمازيغية وفق أسس إعلامية. أما **الحسين مجاهد** فقد حدّد أهم مواصفات الأمازيغية ومنها : الاستقلالية التاريخانية والحيوية فاستنتج بأن الامازيغية لغة حية. وأبرز المواقف من الأمازيغية فوجد أن معظم هذه المواقف ذات خلفية استعمارية.

2. **القانون** : تتحدد الحقوق اللغوية والثقافية الأمازيغية – كما يقول **حسن إيد بلقاسم** – فيما يلي : **أولاً** : حق التمتع بذاتية لغوية وثقافية متميزة. **ثانياً** : تطوير الثقافة واللغة الأمازيغية. **ثالثاً** : التمتع بالوسائل المادية والمعنوية لتطوير الأمازيغية. **رابعاً** : ضمان ممارسة الحقوق اللغوية والثقافية في مساواة كاملة بين المواطنين. انطلاقاً من هذه الحقوق حلل الكاتب مرسوم معهد الدراسات الأمازيغية ولاحظ أن الحقوق الواردة في المرسوم ثلاثة فقط : 1. المطالبة بإنشاء معهد مركزي للدراسات الأمازيغية. 2. المحافظة على الأشعار والأغاني. 3. تدريس اللغة الأمازيغية.

3. **الفقه** : قدّم **عباس الشرقاوي** ورقة عن الأسس التي يتخذها الفقيه في معالجة عناصر الفتوى الشعبية في منطقة سوس مثل موضوع اغتصاب الأرض. وتعرض **أحمد إيد الفقيه** لقضية احترام المرأة في صدر الإسلام معتمداً على حادثة وقعت لعمر بن الخطاب. وتساءل عن أسباب حصرها في منطقة سوس وحدها. وقد حدّد الأسباب التي في خصوصيات منطقة سوس [غياب الزوج الدائم/ظاهرة الزواج المبكر].

4. **التاريخ** : درس **جامع وارزمان** شخصية تاريخية هي **أبوليوس أو [أوبلا] مؤلف كتاب [الحمار الذهبي]** ووصل إلى خلاصة :

أولاً : أبوليوس كان صاحب مشروع تتناغم فيه الأصالة والمعاصرة.

ثانياً : إن قصة الحمار الذهبي تعبير عن موقف رافض للثقافة الرومانية والديانة المسيحية.

ثالثاً : تمسك أبوليوس بالثقافة القرطاجية واعتزازه بالإنتماء إليها.

5. **الأدب** : قال **محمد مستاوي** أنّ المرأة في منطقة سوس في قصائدها لا تشعر بأية عقدة نقص تجاه الرجل. أما **لحسن حمو** فقد قال إن دور المرأة كان غائباً. وتطرق لأغاني النساء في الأعراس والمساجلات.

وفي أطروحة ماجستير [نوقشت في معهد الثقافة الشعبية للدراسات العليا – جامعة تلمسان بتاريخ *1991/2/27*]، تعرض **عمار يزلي** لصدى الثورة الجزائرية في الأهازيج النسوية في منطقة [ترارا – الغرب الجزائري] وهي منطقة أمازيغية أصلاً. لكنه يستحيل اليوم التمييز بين الأمازيغي والعربي، بل يستحيل أن تجد ساكناً من سكانها يتمسك بأصوله الأمازيغية كما يقول الكاتب. ويعود الكاتب إلى المرابطين والموحدين (أمازيغ) الذين نشروا الإسلام. وكانوا يكتبون نصوصهم الفقهية باللغة الأمازيغية، وبحروف عربية، كما فعل محمد بن تومرت في رسائله. وهذا ما سهل عملية التمازج بين العرب والأمازيغ. كما أن الهجرات الهلالية ساهمت في هذا التفاعل. يذكر عبد الحميد بن شنهو أن [قبائل زَناته وهُوارة ولُواته كانت أمازيغية وتعربت بشكل كامل]، كذلك فإن قبائل [بني سنُوس] الأمازيغية، كانت تتكلم الأمازيغية حتى خمسينيات القرن العشرين ولم يبق منها سوى بعض المفردات. ويرجع عمار يزلي ذلك للأسباب التالية :

1. الأصل العرقي للأمازيغ [كنعانيون]. 2. العمل القرطاجي على مستوى اللغة فحروف التيفيناغ الأمازيغية متأثرة بالحروف الكنعانية القرطاجية. 3. أسلوب العيش الرعوي المشترك. 4. وجود المسيحية

واليهودية التي لا تبتعد كثيراً عن الإسلام كأديان سماوية. هذا على المستوى العام، اما المستوى الخاص فيتجلى فيما يلي :

أولاً : أسماء الأماكن الأسماء العربية أكثر من الأسماء الأمازيغية، مع هذا احتفظت بعض الأماكن بأسمائها الأمازيغية.

ثانياً : أسماء النباتات حافظت على اسمها الأمازيغي.

ثالثاً : المفردات : دخلت مفردات أمازيغية في اللغة العربية [حنّا = جدّتي] و[نانّا = خالتي أو عمّتي] وغيرها.

رابعاً : اللباس : يشكل اللباس التقليدي نموذجاً للعلاقة بين القبائل العربية والأمازيغية، في حين تتميز قبائل التوارق بلباسها الخاص.

خامساً : الحكاية الشعبية : هناك تشابه بين القصص الأمازيغي والقصص العربي.

فالقبائل الأمازيغية في منطقة ترارا تنطق باللغة العربية رغم أنها كلها من أصول أمازيغية بإستثناء بعض القبائل العربية الهلالية ومنها : أولاد رياح - بني واسين - أولاد نهار.

أما **بلملاط اسماعيل** فيقدم صورة للمرأة الأمازيغية في منطقة القبائل بالجزائر من خلال المثل الشعبي.

1. 1. عار الرجل نظيف، عار المرأة مفضوح :

يقول بلملاط اسماعيل : المجتمع القبائلي مجتمع محافظ تلعب فيه العادات والأعراف دوراً بارزاً في استمرارية العلاقات الاجتماعية. يُقال [كل شيخ يموت، مكتبة تحترق]، فالأدب الشفوي لم يسجل بعد. تتركز

الأمثال الأمازيغية حول مفهوم الأخلاق لدى المراة المتزوجة. هناك طقس قبايلي على النحو التالي : عندما يولد الذكر، تقوم احدى النساء بلف بيضة فوق راسه ثمّ يتم كسرها خارج البيت، أما الأنثى فتكسر البيضة وراء نول النسيج داخل المنزل. وهكذا تتحدد وظيفة المرأة في داخل المنزل منذ ولادتها باستثناء الذهاب إلى عين الماء فالينبوع مجال أنثوي محض. أما الذكور فمكانهم [تجمعاعث = الديوان]. وسلطة الرجل واضحة في الهيمنة. يقول المثل الأمازيغي القبايلي [لْعارْ بَرْقازْ يشْبَحْ، لْعار تْمَطُّتْ يَفْضَحْ] = عار الرجل نظيف، عار المرأة مفضوح. وكلمة عار مرتبطة أساساً بالممارسة الجنسية بالإضافة إلى معانٍ أخرى. والمرأة التي لا يتماشى سلوكها مع المجتمع لا تتزوج وإن تزوجت لا تنجح في حياتها الزوجية. [البنت اللّي تجري بزّافْ، ما تدرش دار]. وفي مسألة الزواج ينصح المثل الشعبي الأمازيغي بأن صورة البنت تكون على صورة امّها. [اخطبْ الأم وخذ بنتها = أَخْطَبْ يَمَسْ أَتَنَضَ يَلَسْ]. وهناك امثال تركز على التكامل بين المرأة والرجل، تقول ترجمة أحد الأمثال [المرأة هي الأساس، المرأة هي الركيزة]. وهناك مثل يصور المرأة على أنها صورة البيت كله [المرأة هي الدار = ثْمَطُّتْ ذْخامْ]. أو [الدار بلا امرأة كالبحر بلا حوت = اخام مَبْل تَمَطُّت امْ لبْحَر مَبْل لحوث].

وهناك مثل ثالث حول التقاسم الوظيفي بين الرجل والمرأة، وترجمته هي [الرجل مصباح الخارج والمرأة مصباح الداخل]. والمرأة في المثل الأمازيغي سبب المصائب فهي السبب في تفكيك العائلة الممتدة وظهور العائلة النووية [كلمة الوسادة تفرق بلدا]. لكن الأم في العقلية الشعبية تترك فراغاً بينما لا يترك الأب بعد وفاته فراغاً يوازي الفراغ الذي تتركه الأم. لكن المجتمع يحتقر الرجل الذي يقع تحت تأثير زوجته.

[الرجل الذي تغلبه امرأته، خير له أن يموت] كما تقول ترجمة المثل القبايلي. ويقول مثل آخر [مُحنَد يغلط ويشتكي وامرأته تلد وتسكت].

1.2. الرقص الأمازيغي [أحواش]

يقول عمر أمرير (المغرب) بأن كلمة الرقص العربية، تقابلها في الأمازيغية كلمة [أحواش] وفي لهجات أخرى [ءاحيدوس] و[لهضرت] وكلها تعني الرقص الجماعي، ولغةً يكون فعل [حوش] أي : أجمع. وبالعامية الفلسطينية [حَوِّش = جمع]. أما أنواع الأحواش فهي **أولاً : أحواش الرجال** : ينقسم إلى قسمين باعتبار الراقصين، فهناك أحواش [تيروبا]. وهناك أحواش [لْهضرت] الذي يؤديه سكان القرى بشكل طبيعي، أما التيروبا فتؤديه فرق محترفة. وهناك أنواع من [لهضرت] منها : رقصة تاسكيوين في الأطلس الكبير ورقصة درست ورقصة ءاسقا وتعني الجنب. ورقصة عاقال ورقصة الحابفا في الأطلس الأوسط. وهناك رقصات تسمى بأسماء مناطقها مثل: تيزي، ءوسلي – ءايت بوعياش – ميضار – أجدير الحسيمة وأجدير تازة. وكلها أسماء قبائل بشمال المغرب. أما النوع الآخر من الرقص [تيروبا] فهو أنواع : مثل : رقصة تارابوت – رقصة رما – رقصة طولبا – رقصة العمارة التي يرقصها بعض المتصوفة. **ثانياً : أحواش السيدات والأوانس** : ترقص النساء منفردات أو أمام الناس. ويسمى رقص السيدات [درست]. وهناك رقصات جمهورها من النساء كما في مناطق [ءايت باعمران] و[جبال الريف]. أما الأوانس فلَهُنَّ رقصات خاصة مثل رقصة [ءالوان] ورقصة [تيحنجيرين] السائدة في نواحي تازة. كما أن الرقص الأمازيغي كما

يقول عمر أمرير مرتبط بالشعر الذي يقوله الرجال والنساء على السواء على هيئة مساجلات شعرية.

يقول محمد مستاوي (المغرب) بأن المرقص [ءاسايس] بالنسبة لبادية سوس، حيث يتم الرقص في الهواء الطلق، ثم يتحدث عن رقصة بوكانكا عند قبيلة تاكموت نايت يعقوب ورقصة [تابيرودوست] ورقصة [تاحواشت] لدى قبيلة [ءارغن] والزغاريت والصيحات المصاحبة للرقص. ويشير إلى [تيزرارين] وهي مجموعة أبيات شعرية تصاحب الغناء والرقص مثل قول أحد الشعراء [أريد لمن قال أن الحب لا يشغل ذهن المُحبّ، أن يجرب عشق سمكة صفراء تغوص في الماء]. ويتحدث عن رقصة [ءاهناقار] وهذا مدخل لرقصة درست لكن العمود الفقري - يقول مستاوي - هم **الشعراء [ءيماريرن]**. فالشعراء يديرون الحوار ويتصنعون الهجاء إلى حدّ القطيعة نزولاً عند رغبة الجمهور في مواضيع سجالية مختلفة. وعندما تتوتر الأجواء نتيجة المديح المفرط أو الهجاء المفرط بين الشعراء، يغير شاعر آخر الموضوع برقصة [تامسوست]. ويذكر الكاتب من الشعراء الشعبيين [ءاكزور التاكموتي] و[مبارك بن زايدا]. والكاتب نفسه - محمد مستاوي - في ديوانه [تاطاد]، يقول في إحدى قصائده :

[سألت القمر لماذا بكى ويبكي

دلّني بأشعته

الى واحد توسّد التربة، لم يذق طعاما

ثم دلّني بأشعته على آخر

نام على كومة من الأفرشة، التحف بكومة من الأفرشة

وأحاط به كل ما يشتهي.

حينذاك، عرفت لماذا يبكي القمر نيابةً عن الإنسان].

3.1. الشاعر المغني الأمازيغي الحديث آيت مَنْقَلات [الجزائر] :

يذكر الفنان سليم سهالي، أسماء مطربين بالأمازيغية في حوار معه أجرته [صحيفة التجمع - أفريل 1990] منهم **ريندة نشليا أو اثري كتشر وامذياز وسليم سهالي** نفسه. ويذكر أنواعاً من الألحان الشعبية مثل [الحان القصبة الأوراسية] و[القيثارة القبايلية]و [المزاد التارقية] و[الغيطة المزابية] و[المواويل الصحراوية]. كذلك اشتهرت مطربة أمازيغية في نهاية الثمانينيات اسمها كريمه بأغنيتها [أسّانزْها]. أما أغاني [الراي] الجزائرية المغربية فهي خليط من العربية الدارجة والأمازيغية والفرنسية. وقد نشأت أغاني [الراي] في العشرينات والثلاثينيات من القرن العشرين، فهي في الأصل أغاني الطبقة الاجتماعية الهامشية من الشباب والعمّال في الحانات. ثمّ عادت فجأة في الجزائر منذ عام 1985، أي مع ولادة النظام العالمي الجديد، عن طريق المهاجرين الجزائريين والمغاربة في فرنسا، وعاد لها الوهج الاجتماعي بين الشباب في النصف الثاني من الثمانينات، حيث تغنى في الساحات العامة، ووجدت الحكومات فيها حلاً للشباب الضائع. وهي ليست خاصة بالأمازيغ، لكنها اشتهرت في منطقة الغرب الجزائري (وهران – تلمسان)والمغرب الشرقي. وفي دراسة للباحث الجزائري ولد فلّة عبد

النور عن المغني الشاعر الأمازيغي آيت منقلات، قدّمها عام 1990 كورقة عمل للسنة التمهيدية للماجستير في [جامعة تلمسان – معهد الثقافة الشعبية لطلبة الماجستير] بإشرافي، قدّم نموذجاً تحليلياً يمنحنا فكرة عن الغناء الأمازيغي. وهناك أيضاً حالة غنائية أمازيغية هي حالة المطرب المعروف [معتوب الونّاس] الذي اغتيل عام 1998.

يقول **ولد فلة عبد النور** أنه في إطار سيطرة النسق الكولونيالي على المجتمع الجزائري، كان الشعر القبايلي يرتكز على قاعدة مرجعية ثقافية مستمدة من الوجود القبائلي. وخصوصاً على مرجعيات تقليدية شفهية ويظهر هذا في شعر الشاعر الشعبي **سي محنّد**. وفي مرحلة لاحقة ظهر الاهتمام لدى المثقفين الأمازيغ بالنسبة للتاريخ والرموز التاريخية واللغة مثل [مجموعة قصائد قبائلية جمعها سعيد بوليفة 1904] و[الروائي مولود فرعون الذي جمع أشعار سي محنّد أو محنّد]. ودراسات [مولود معمري في ميدان الشعر القبائلي – 1980]. ومن الأسباب التي كانت وراء هذا الوعي الأمازيغي، النشر الواسع لمعارف علمية وشبه علمية أنتجتها الجامعة الفرنسية أو نخب عسكرية بهدف معرفة المجتمع وتدعيم السيطرة لدى الأمازيغ يتعلق بثقافتهم المهمشة. وهذا ما خلق لدى معارضي الثقافة الأمازيغية نوعاً من الربط الميكاني الخاطىء بين الوعي الطبيعي بالمسألة الأمازيغية المقموعة وبين السياسة الفرنسية تجاه الأمازيغ. هذا الغموض والإتهام دفع الجماعة الثقافية الأمازيغية للمطالبة بالاعتراف رسمياً بالثقافة الأمازيغية. وكانت أول أزمة قد ظهرت في ظل الحركة الوطنية الجزائرية بقيادة **حزب الشعب PPA عام 1949 التي سميت بالأزمة البربرية**، حيث تمت تصفية عدد من قيادات المطالبين بالثقافة الأمازيغية وعزل البعض الآخر. والسبب

الحقيقي هو أن أنصار الأمازيغية في حزب الشعب كانوا يمثلون الجناح الراديكالي الماركسي داخل حزب الشعب. أما أحداث الربيع الأمازيغي فقد حدثت عام 1980 بعد منع السلطات لمحاضرة عن الشعر القبائلي لمولود فرعون في جامعة تيزي وزو.

ويقول ولد فلة عبد النور بأن كلمة شعر العربية تقابلها في الأمازيغية القبايلية لفظة [أسْفرو] وهي تعني الوضوح. ويقول بأن **الشاعر المغني أيت منقلات**، يمثل الموروث الثقافي التراكمي للجماعة القبائلية، حيث أنتج خطاباً انتمائياً حول [سلطة اللغة – ثورة مركزية ضدّ النمط المسيطر].

ولد الشاعر المغني أيت منقلات في يناير 1950 في منطقة القبائل الجبلية حيث تشبع بقيم ريفية. تعلم اللغة العربية في الجزائر العاصمة. بدأ مرحلته الفنية عام 1967 في برنامج إذاعي باللغة الأمازيغية القبايلية. وفي أوائل السبعينات كان مع أخرين من رواد الأغنية القبايلية منهم : **إيدير وفرحات وجمال علام وابرنيس**. وتنقسم أعمال ايت منقلات إلى مرحلتين : المرحلة الأولى ارتكزت على الأغاني العاطفية الوجدانية. أما المرحلة الثانية فبدأت بعد الربيع الأمازيغي عام 1980، حيث تحول إلى مغنٍ سياسي تمركز حول مطلب الهوية الذي لم يكن واضحاً لدى المغنين الأوائل مثل [**الشيخ حسناوي/والشيخ محمد العنقاء**] فقد كانوا يغنون بالأمازيغية والعربية معاً. وقد **ترجم ولد فلة عبد النور عدداً من [الأغاني – القصائد] لآيت منقلات** وسأحاول تفصيحها لأن الكاتب ولد فلة عبد النور، ترجمها من الأمازيغية الى العامية الجزائرية :

الرسائل [شبرشن] :

1 – آه – خذ قلما

أكتب ما سأحكيه لك

أوراقك لا تكفي

مادام قلبي ملآنا.

2 – أتكلم معك بالقبائلية

اكتبها لكي تحب

لأفهم الذي لا يفهم

فأنت متعلم.

3 – قُلْ لأمي العزيزة

يجدني الحال راحلا

حين تقرأ الرسالة

اسمح لي.

4 – أنا والدنيا متخالفان

لم أجدها ولم تجدني

تلعب بي

خربّتني – آه.

5 – تربيت محتقراً

منذ تلك السنة

كُتب عليّ

ان أذهب للبحر فينشفْ.

6 – عندما اقول لك تبقين على خير

أعرف أنك لن تتوهمي

اكملي الرسالة ومزّقيها.

7 – عندما تقرأين الرسالة

أعرف أنكِ تفرحين كثيرا

سمحت لك أن تختاري

الذي تريدينه – آه.

8 – أعطاني أبوك يدك

عرفت أنك خسرت

كل ما حلم به قلبك

راح – آه.

9 – أنا لا الائمك

ضائع بين الضائعين

مكاني بين الدراويش

وأنت احسن مني.

10 – إختر رجلاً متعلما

طبيباً أو محافظ شرطة

لا أحد جميل كما أنت.

11 – الرسالة التي قرأتها عيناك

أمسح بها دمعة عينيك

اركليها بقدمك – آه.

12 – أحبّتي أترككم
مع الشيء الذي لا نريد
العهد الذي تشاركنا به
أخاف أن لا أحترمه.

13 – تريدون أن يتغير الحال
تريدون أن يظهر الزعيم
تريدون أن تكملوا
نتمنى أن تصلوا.

14 – تعاهدتم على القضاء على الباطل
لدفن كل خطوة معه، تتكِلُ البلاد عليكم
نتمنى أت تصلوا.

15 – تركت العهد ينصرف
قتلته قبل أن تقتلوه
اقسمتم حتى الموت
لكن أخاف أن تتغيروا.

16 – أخاف أن تنسوا
حين يعتقلكم الخبز
أن تهتموا به
وتنسون كل شيء.

17 – يوم أن تشبعوا منه
تزهو لكم الدنيا

قلق كل من تكلم معكم

أخشى أن تقتلوه.

18 - إذا كان الحال لا يعجبكم

أطلب منكم السماح

كل ما قلته لكم اليوم

كان يحدث بالأمس.

19 - كل واحد يهتم بأولاده

يخاف على منصبه وعمله

ويقول كل شيء تمام.

20 - عندما نتذكر البارحة

تقولون إنها أيام المراهقة

اتركونا وحالنا

لا نريد المشاكل.

21 - المثل الذي أقدمه

ميّزه إن كنت مخطئاً

فالحقيقة لا بدّ أن تظهر.

22 - إذا برز أحد منا

نكون أول من يؤذيه.

23 - ننفيه ولا نقتله

لكي نتخلص منه

ننسى القيود التي كسرها.

24 – نرحب بالأجنبي

نخلق له هيبة

كما يقتضي الأمر.

25 – صرخة الطمأنينة

سبقت كل شيء

لا تطلقوها اليوم

26 – عن الماضي، كل واحد يتكلم للآخر

اليوم لدينا ورق

يقرأه اللاحقون.

2. إحنا ولاد الجزاير :

1 – أشعلت ناراً وانطفأت نار

ما زالت نار أخرى

كل واحد يفكر بزمانه

كل واحد يفكر بالنار التي رآها

في كل قرن ينتظر الطمأنينة

طريقها نظيف – آه يا وطني.

دلّني : أين هو اسمي.

2 – ترك لنا الأسلاف

شيئا نتحدث عنه

الوقت يأكله

نخاف من يوم تنتهي فيه.

آه يا وطني

افتح السجن لاسمي.

وطني فقد صوابه.

3 – نحن أولاد الجزائر

ابتلينا بهم

نريد أن ننصرف

نريد أن ترجع لتعمّرها

تعبنا من طريقة هذه الحياة

اصعدْ، اهبط.

4 – إمش مع القوي

المحتجّ يكسر رأسه

تعشْ في الهناء

تحت رحمته.

5 – لماذا تبحث كيف تسير الأمور

هناك من يفكر بدلاً منك

وطني له رئيس

افرح، ولا تبكِ

وإذا أردت النجاة، قف في نهاية الطابور

اتركْ سيّدكَ يمرُّ.!!

6 – إهدأ، كل شيء على ما يرام

أترك التفكير في المدرسة

جَمّدْ عقلك، كُفَّ عن القلق

إنْ قالوا لك : الباء هي الباء والواو ليست همزة

فهم يعلمونك أسرار العلم.!!

7 – لا شيء ينقص الجزائر

كل شيء موجود

فلماذا تبكي، أتريد كأساً

إحمدْ ربّك وصفّقْ

عش في هناء يا ابن الجزائر.!!

3 – أمشهو – 1982 :

1 – أصبح المكان سجنا من حديد

أغلقت عليه الأبواب

تتجاوب صرختنا

اسكتوا ما دمنا هنا.

2 – أمشهو – رقبة فوقها سكين

لا تبوح بالحقيقة

أمشهو – على الذي ضحّى بحياته

دون أن يسأل أحد عنه

3 – خدعنا رفاق الأمس

ومنذ القدم كانت الوصية

أن نعيش تحت الأقدام

من اجل أن تثأر في النهاية.

4 – أرقدْ، أرْقدْ، ما زال الحال :

1 – إنْ فقدت النعاس تجده في وطني

إنْ حاولت الاستيقاظ

يرجعونك للنعاس قائلين :

ما زال الحال، ما زال الحال،

ليس لك الحق في الكلام.

2 – انهضنَ يا قبايليات

جئن لي بمروحة من مكّةَ لأنام

أرقُدْ، أرقُدْ، ما زال الحال

ليس لك الحق في الكلام.

3 – هدهدوك حتى نعست

زادوا فوقك الغطاء

كل ما تطلبه موجود في الأحلام
أغمضْ عينيك وأرقد
نخشى أن نفقدك.

5 - الشعر [أسْفرو] :

لماذا تخاف من القصيدة
بعد أن قيّدتها بالحديد
خبّأتها حتى لم يعد أحد يسمع بها
غطيتها بالتراب كحبة قمح تتكاثر
تعطي سنابل كثيرة للجائع
تفتح عينيه تخبره عن الطريق المنسي.
الشعر عندك محتقر
لكن معانيه تطير فوقك.
لكن يا قلبي لماذا تزعل كثيرا
الغضب لن يحقق شيئا
كن كباقي الناس، أسكتْ كباقي الناس
أو أنشد الأغاني عن حبيبتك
أغمض عينيكَ، تراها وتراك
عن الورود أنت تغني.

* * *

2. الشعر الأمازيغي الشفوي والحديث :

أجرى **الباحث محمد الشامي (المغرب)** دراسة مقارنة، **لنص شعري ينتمي لأمازيغية القبايل بالجزائر** وهو من الشعر الذي جمعه ونشره الكاتب الجزائري مولود معمري، حيث قام الباحث بترجمته **إلى أمازيغية منطقة الريف وأمازيغية الأطلس وأمازيغية سوس (المغرب)**. وقد وصل الباحث بعد دراسة دقيقة إلى أنّ **المادة المعجمية** التي تتفق فيها اللهجات الأربع هي66٪ منها 33٪ فيها اتفاق تام بين اللهجات الأربع. فإذا أضفنا – يقول الكاتب – 20٪ من مادة اتفاق ثلاث مناطق من أربع، حيث تدخل اللهجة الرابعة في إطار الترادف فإنه سيصبح **ما تتفق عليه اللهجات الأربع حوالي 86٪ وما تختلف فيه هو 14٪**. أما المستوى التركيبي النحوي فإن اللهجات الأربع تتفق في كل القضايا الجوهرية. أما **المادة المعجمية المقترضة [من اللغة العربية] في النص فتصل إلى 47٪.**

أما **الباحث الحسين المجاهد [المغرب]** فيدرس الأجناس الأدبية الأمازيغية كالنثر التقليدي [الحكاية والأسطورة والخرافة والمثل والحكمة واللغز] وهي السائدة في الأدب الشعبي الشفوي. ويدرس النثر الحديث [المسرحية.الأقصوصة/المقالة]، حيث يرى أنها ما زالت محدودة تقع في عداد التجارب الفردية.

ثم يدرس [الشعر الأمازيغي] ويقسمه إلى قسمين : الشعر الغنائي التقليدي الذي لا ينفصل عن الغناء والرقص. ويستخدم مصطلح [**امارك = الشعر**] وهو يعني الشعر الشعبي. ويقول بأنّ النظم الأمازيغي على أسس عروضية وإيقاعية تتمثل في [تيبات = تيت] وهي وحدات صوتية من مقطع واحد، يتشكل منها القالب الايقاعي والعروض الذي تقولبت فيه

الوحدات المعجمية المكونة للبيت ويعرف هذا القالب باسم [تالاليت]. وقد تمّ حصر عدد النماذج العروضية، انطلاقاً من متن شعري من عدة الاف من الأبيات الشعرية من شعر تاشلحيت وتامازيغت، في [87 صيغة تتمثل في مركب من المقاطع] مثل : [أي لايل أيلا لايل ألا يد لال].

أما القسم الثاني فهو **الشعر الحديث، فاول مجموعة نشرت بالامازيغية في المغرب [بلهجة تاشلحيت] هو ديوان [إسكراف = قيود] للشاعر محمد مستاوي. وحتى الآن صدرت سبع مجموعات شعرية بالامازيغية لشعراء عديدين**. وتعتمد كتابتها على الحرف العربي، على عكس الشعر الأمازيغي بالجزائر، حيث يكتب بحروف لاتينية. وتلتزم قصائد هذه المجموعات بصيغة عروضية واحدة أحياناً، وتارة بعدة صيغ عروضية كثيرة. وتارة لا تلتزم إلاّ بالايقاع والجرس اللفظي والصوتي. ويذكر الباحث الحسين المجاهد أسماء بعض المجموعات المطبوعة :

1. **امرال احمد** : أمانار، ديوان شعر أمازيغي شلحي 1986.
2. **حسن إيد بلقاسم** : تاسليت ونْزار. (مجموعة شعرية) – 1988.
3. **مصطفى بيزران** : إيفراون. (مجموعة شعرية) – 1987.
4. **علي صدقي** : تيميتار. (مجموعة شعرية) – 1989.
5. **محمد مستاوي** : إيسكراف (مجموعة شعرية) – 1976.
6. **محمد مستاوي** : تاضاد يمطاون – (مجموعة شعرية) – 1979.
7. **محمد مستاوي** : أسايس (مجموعة شعرية) – 1988.

أما الباحث احمد عصيد [المغرب] فيكتب عن [**هاجس التحديث في النص الشعري الامازيغي المكتوب**] ويقول إنهّ خطاب

الهوية يشمل المساحة الشاسعة من الشعر الأمازيغي. ويلخص الكاتب المحفزات الخمسة للتحديث في الشعر الأمازيغي فيما يلي :

أولاً : لقد دفع هاجس التحديث الشعراء الأمازيغ إلى ابتكار لغة شعرية جديدة بكسر حدود المعقول التقليدي.

ثانياً : كان الشعر الأمازيغي التقليدي مرتبطاً بالغناء والرقص، لكن الشعر الأمازيغي الحديث يمتلك نظرة مغايرة للقيم والأشياء والإنسان.

ثالثاً : تجاوز الشعراء الأمازيغيون الجدد مسألة الأغراض الشعرية حيث تعتمد قصائدهم الفضاء الشعري المتجانس مجالاً للقصيدة.

رابعاً : تغير الإنسان الأمازيغي في الشعر الحديث من المجتمع الريفي البدوي إلى الإنسان الموجود في كل مكان.

خامساً : كان النتاج الشعري الأمازيغي التقليدي قد ارتبط بالقيم التقليدية في حين نجد أنّ الشعر الحديث يتحول إلى رمزية هذه القيم.

أما **محمد مستاوي** فيكتب عن بعض قضايا واهتمامات الشعر الأمازيغي ويقول إن الشاعر المعروف (شاعر أو شاعرة) – يسمى باللهجات الأمازيغية [**أمارير/تامريرت/انضمام/تنضامنت**]. ويقول إن عدد الشاعرات أكثر من الشعراء في الأطلس. وقد يكون فلاحاً أو راعياً أو عاملاً بسيطاً. ويشير مستاوي إلى أن الدراسات الفرنسية شوهت الشاعر الأمازيغي ووضعته في إطار [سياحي فولكلوري]. وهناك شعراء يجمعون بين الكتابة والغناء والرقص منهم : **محمد مستاوي/أحمد عصيد/أوبلا ابراهيم/المحمدي/محمد بطاطا** وغيرهم. وهنك من يكتبون على غرار [شعر التفعيلة العربي] ومنهم :

حسن إيد بلقاسم وإزايكو علي صدقي لكنهم لا يشاركون في المحاورة الشفوية في المراقص [أسايس] أي الساحات العامة. أما المواضيع التي يتناولها الشعراء الأمازيغيون فهي : الوحدة/حرية التعبير/المسؤولية/الصراع الطبقي/الغربة/مقاومة المستعمر/الوحدة الترابية/قضية فلسطين...الخ. وقد ترجم مستاوي نماذج من الشعر الأمازيغي إلى العربية نختار منها مقطوعات للشاعر مستاوي نفسه :

محمد مستاوي : برتقالك يا غزة لا يُسقى بالماء :

1 – رغم أن الأعداء يتجاهلون

فالسماء فوقنا نلتحف بها

الأرض لو نطقت لصرخت

بأننا أبناءها

2 – لا تشعر بغصّة إذا ساد الظلام

لأننا أطفأنا المصابيح

لا تشعر بغصّة إذا ساد الجفاف

لأن الأرض لا تصلح لاستقبال المطر.

3 – من البترول ولدت الدنانير

الدنانير ولّدت خصومات

رأيت النيران متجهة إليها

البترول أفعى مسمومة.

4 – برتقالك يا غزة لا يُسقى بالمياه

ابنته النار وبها يُسقى

ونكتب بالأمازيغية المقطع الأخير للتعرف على اللغة الأمازيغية :

[غازًا بيتشينْ ءادنم ءوراسان ءامانْ / تاكات ءات ءيسمغينْ تاكاتْ ءاساسانْ].

أما **لويزة بندو (الجزائر)** فتتحدث عن سيرة حياة الشاعر الشعبي الجزائري **سي محنّد أو محند**، فتقول بأنه ولد سنة 1850م بقرية إيشرعيون بمنطقة القبائل وتوفي سنة 1906م. وقد رأى سي محنّد قريته وهي تدمر من قبل قوات الاحتلال الفرنسي. وشارك سنة 1871 مع عائلته في ثورة 1871م. وبعد الهزيمة حكم على والده بالإعدام ونفذ الإعدام في قرية [لربعا نايث يراثن] ونفي عمّه إلى كاليدونيا الجديدة. وفرّ أخوه إلى تونس. أما الشاعر فأمضى حياته في الترحال في المدن والقرى الجزائرية والتونسية. وتوفي في بلاد القبايل قرب [عين الحمام] بمقبرة المنفيين حيث لا توجد علامة مميزة لقبره. وتقول لويزا بندو أن شعره يشمل البعدين الوطني والعالمي يقول :

1 – سأبدأ القصيدة هذه المرّة
أطلب من الله أن تكون جميلة
قصيدة تنتقل في السهول
يسجلها من يسمعها حتى لا ينسى.

2 – لقد صار الفلاح معّازا
القبائل والعرب ينتقلون من ضيعة إلى أخرى
بينما يغرق [الكولون] في الضحك.

المراجـــع

* المسألة الأمازيغية في الجـزائـر :

1. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية : **[الدستور]**، المؤسسة الوطنية للنشر، سنة 1989 [41 صفحة بالعربية + 44 صفحة هي الترجمة الفرنسية].

2. **غوستاف لوبون** : حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثالثة، منشورات دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1956.[ص 243 - 262].

3. **عبد الرحمن الجيلالي** : تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، طبعة رابعة، بيروت، 1980 [ص 30 - 141].

4. **ملتقى الجزائر**: الثقافة الافريقية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1969.

5. **موسوعة السياسة** - الجزء الأول، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990[ص 512].

6. **معجم العالم الإسلامي** - المؤسسة الجامعية، بيروت ، 1991 [ص 135 - 137].

7. **قانون تعميم استعمال اللغة العربية** - قانون رقم 91 مؤرخ في 16 يناير سنة 1991 بتوقيع رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد، الجزائر [نسخة ستانسل] شخصية.

8. **مقران نايت العربي** : توضيحات لا بدّ منها - صحيفة [التجمع]، الناطقة بلسان حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، العدد صفر، 1989، الجزائر.

9. **موسى ترطاق ومحنّد رداوي** : حوار مع الروائي الجزائري الطاهر وطار، صحيفة التجمع، العدد صفر، الجزائر، 1989.

10. **صحيفة التجمع** - العدد الأول، جانفي، 1990، الجزائر.

1. لوائح المؤتمر الأول للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية [R.C.D.].

2. الدكتور سعيد سعدي مناضل قديم.

11. **صحيفة التجمع**، العدد الثاني، أبريل 1990، الجزائر.

1. بيان التجمع في ذكرى الربيع الأمازيغي.

2. سليمة أيت محمد : المعارضة وأحداث الربيع الأمازيغي.

3 ع مقراني : الحركة الثقافية البربرية، ما العمل؟

12. **أحمد السليماني** : تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر العاصمة، 1989.

13. **هيثم نوارة** : مستقبل الثقافة الأمازيغية في الجزائر (ندوة) - مجلة الأفق، قبرص، 1990/5/10.

14. **صحيفة الجمهورية** : الأحزاب والأمازيغية - من أجل نقاش هادئ - جمال الدين زعيتر- وهران بتاريخ 1990/1/8.

15. **تسعديت بالحسين** : حوار مع عبد النور عبد السلام بعنوان [من التيفيناغ إلى برامج الإعلام الآلي] - صحيفة المساء، الجزائر، بتاريخ 1990/1/9 [وكالة الأنباء الجزائرية - و.أ.ج].

16. **أحميدة عياشي ونعيمة شكشاك وعبد الكريم غزالي** : طاولة مستديرة بعنوان [الواقع اللغوي والثقافي في الجزائر] شارك فيها : محفوظ قدّاش ونور الدين سعدي ويوسف سبتي وفرحات مهني ومحند بري بلقاسم وشوقي صالحي - مجلة المسار المغربي - جوان، 1989، الجزائر.

17. **الأعرج واسيني** : إشكاليات اللغات في الجزائر – أزمة الإقصائية مأزق لحل البيروقراطي – **صحيفة جسور**، العدد السابع – 1990/1/10، قسنطينة، الجزائر.

18. **أبو القاسم سعد الله** : [الحوض] – كتاب بالبربرية وحروف عربية لمحمد بن علي بن ابراهيم السوسي – صحيفة المجاهد، الناطقة بلسان حزب جبهة التحرير الوطني، 1990/1/12، الجزائر.

19. **يوسف مناصرية** : جذور الحركة البربرية وعوامل ظهورها – صحيفة المجاهد، 1990/3/2، الجزائر.

20. **احمد هبو** : الأبجدية – نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب – منشورات دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، سنة 1984.

21. **عز الدين المناصرة** : المسألة الأمازيغية – ورقة عمل غير منشورة، قدّمت لندوة ثقافية حول الأمازيغية بمعهد الثقافات الشعبية لطلبة الماجستير (جامعة تلمسان) – بتاريخ 1990/1/14.

22. عز **الدين المناصرة** : أطروحة علي فهمي خشيم : العرب الأمازيغ من أصول كنعانية – مجلة فيلادلفيا الثقافية، جامعة فيلادلفيا، العدد الثاني، عمان، 1998.

23. **هادي العلوي** : البربر بين التحرر القومي والفرنكوفونية – مجلة الحرية، دمشق، 1990/1/20.

24. **سالم شاكر وسعيد صادي** : الحركة الأمازيغية الثقافية في الجزائر – مجلة تافسوت، ترجمة الحسين مجاهد – صحيفة أنوال – فبراير 1986، المغرب.

25. **نبيل فارس** : المسألة الأمازيغية اليوم – مجلة تافوست، تيزي أوزو، ترجمة أمل حجي – صحيفة أنوال – 7 ديسمبر 1985، المغرب.

26 **خالد عمر بن ققة** : تنازلات سابقة الدولة الجزائرية ودور مشترك بربري فرنسي. صحيفة الحياة، لندن، 1998/7/20.

27. **عبد الرزاق عبد العالي** : حكم الأقلية وصمت الأغلبية – صحيفة [العرب اليوم] بتاريخ 1998/7/11، عمّان، الأردن.

28. **نوري الجرّاح** : فرانكوفون وعقــدة المشـرق - صحيفة الحياة، لندن، 1998/7/13.

29. **نوري الجراح** : الأزمة ثقافية أساساً ولا يمكن حلّها بأدوات أمنية – صحيفة الحياة، لندن، 1998/7/1.

30. **حسين أيت أحمد** : نؤيد زروال في تطبيق التعريب تدريجياً – حوار معه أجراه كميل الطويل – صحيفة الحياة، لندن، 1998/7/10.

31. **صحيفة النهار اللبنانية** : اللجنة الدولية في الجزائر (حوار طرشان) – 1998/8/1.

32. **يحيى موهوب** : الأمازيغية – صحيفة المساء، الجزائر، 1990/1/12.

33. **عبد الرحمن الحسين** : خطر اللوبي الهلالي على الجزائر = جريدة المساء – 1990/1/11، الجزائر.

34. **مجلة الوحدة** : وثيقة سرية (منسوبة) للمخابرات الفرنسية، حول مخططات فرنسا للسيطرة على الجزائر والمغرب العربي – العدد 493 – بتاريخ 1990/12/6.

تقول الوثيقة [شاهدان اثنان يربطان فرنسا بالمغرب العربي هما [**الفرانكوفونية**] و [**الجالية المغاربية في فرنسا**]. وهناك عاملان يقفان ضدّ الحركة الأصولية الإسلامية، هما : تحرير المرأة والعلمانية [اللائكية] – لكني شخصياً، أشكّ في صحة هذه [الوثيقة السرية!!] لأسباب عديدة

35. **علي فهمي خشيم** : لسان العرب الأمازيغ [معجم عربي/بربري مقارن] – الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 1995.

36. **علي فهمي خشيم** : سفر العرب الأمازيغ، ط 1، بنغازي، 1995.

37. **عز الدين المناصرة** : المثاقفة والنقد المقارن – المؤسسة العربية، طبعة ثانية، بيروت، 1996 [أنظر : فصل الفرانكوفونية].

* المسألة الأمازيغية في المغـرب :

38. **روم لاندو** : تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نقولا زيادة، دار الثقافة، لبنان، 1963 [ص 101 – 106 + ص 175 – 183].

39. **محمد خير فارس** : تنظيم الحماية الفرنسية [1921 – 1939 في المغرب، دمشق، 192 [ص 227 – 241+ 245 – 250 + 274 – 277 + 450 – 456 – بتصرف].

40. **[مجموعة من المؤرخين المغاربة]** : في النهضة والتراكم – دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية – انظر فصل : الهوية الوطنية والوعي القومي العربي للسعيد بن سعيد [ص106+108–115]. منشورات دار توبقال، ط 1، 1986، الدار البيضاء – المغرب.

41. **عباس الجراري** : الزجل في المغرب، [ص 87 – 95] – أطروحة قدمت لجامعة القاهرة سنة 1969 ونشرت في المغرب [د.ت].

42. **ابراهيم أخياط** : لماذا الأمازيغية – منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، مطبعة البوكيلي، القنطرة، 1994.

43 . **عبد الكريم غلاّب** : اللغة والمسألة الثقافية – مجلة اتحاد كتاب المغرب [افاق] – العدد الأول سنة 1992.

44. **محمد شفيق** : الأمازيغية والمسألة الثقافية في المغرب – مجلة افاق – العدد الأول لسنة 1992، المغرب.

45. **محمد جسّوس** : أطروحات بصدد الأمازيغية والمسألة الثقافية في المغرب – مجلة افاق – العدد الأول لسنة 1992، المغرب.

46. **أحمد بوكوس** : اللغة – الثقافة الأمازيغية مجلة افاق، العدد الأول لسنة 1992، المغرب.

47. **بن يحيى محمد** : تحليل بيبلوغرافي لمخزون كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط المتعلق بالأدبيات الأمازيغية – ترجمة محمد المساوي – العدد 219، 7 ديسمبر 1985، صحيفة [أنوال]، الناطقة بلسان منظمة العمل الديمقراطي، المغرب.

48. أ.ع : حول كتاب علال الأزهر [المسألة القومية والنزعة الأمازيغية وبناء المغرب العربي] – صحيفة أنوال، المغرب، 1985/12/7.

49. **عبد الله بونفور** : البرابرية والمغارب – مجلة تافسوت، تيزي وزّو، الجزائر، ديسمبر 1983 – ترجمة صحيفة أنوال، عدد 1985/12/7.

50. **كوشا عبد الله** : حول كتاب علاّل الأزهر – صحيفة أنوال عدد 1985/12/7.

51. **فريد نعيمي** : تساؤلات حول الخصوصية اللسانية والثقافية بإفريقيا الشمالية – أنوال الثقافي – 1985/12/7.

52. **عبد الله بونفور** : الثقافة والسياسة في الحركة الأمازيغية بالمغرب – ترجمة عدنان الجزولي – صحيفة أنوال، عدد 1985/12/7.

53. **أحمد معتصم** : الفرنسية والتعددية المغاربية – ترجمة المأمون المرّيني – صحيفة انوال – عدد فبراير 1986.

54. **قيس مرزوق ورياشي** : عناصر لفهم الأمازيغية – المشكل – صحيفة أنوال المغربية – عدد فبراير، 1986.

55. **محمد أقضاض** : الثنائية اللغوية بالمغرب – صحيفة أنوال المغربية – عدد فبراير 1986.

56. **عبد الله بونفور** : الدولة الوحدوية ووضعية اللغة الأمازيغية – صحيفة أنوال الثقافي، المغرب، عدد 1986/3/8.

57. **احمد اكواو** : تعليم الأمازيغية في المغرب لغةً وهوية – صحيفة انوال – عدد فبراير، 1986، المغرب.

58. **كوشا عبد الله** : نظرة موجزة حول الأعمال التي كتبت عن البربرية [تاشلحيت] – صحيفة أنوال – فبراير 1986، المغرب.

* الثقافة الأمازيغية في المغرب والجزائر

59. **محمد السوسي** : حوار معه – صحيفة العلم – المغرب 1988/8/13، أجراه مصطفى حسني.

60. **مصطفى حسني** : الجامعة الصيفية (اغادير) : أية ثقافة شعبية، وفي أي أفق؟؟ – صحيفة العلم – المغرب 1988/8/13.

61. **عمّار يزلي** : صدى الثورة الجزائرية في الأهازيج النسوية – منطقة ترارا نموذجاً – اطروحة ماجستير نوقشت يوم 1991/2/27 بمعهد الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان. بإشراف : عز الدين المناصرة.

62. **بلملاط اسماعيل** : صورة المراة في الأمثال الأمازيغية القبايلية – ورقة عمل للسنة التمهيدية للماجستير [معهد الثقافة الشعبية لطلبة الماجستير = جامعة تلمسان – حزيران 1990] – بإشراف عز الدين المناصرة.

63. **عمر أمرير** : مدخل لدراسة الرقصات الأمازيغية – مجلة التراث الشعبي – بغداد، العدد الثاني عشر، السنة العاشرة 1979.

64. **محمد مستاوي** : الأغنية الشعبية الأمازيغية السوسية – صحيفة أنوال – المغرب – عدد فبراير 1986.

65. **ولد فلّة عبد النور** : الهوية في الشعر – **دراسة تحليلية للشاعر** المغني الأمازيغي القبايلي – أيت منْقَلات – ورقة عمل قدمت في السنة التمهيدية للماجستير، حزيران 1990 [جامعة تلمسان – معهد الثقافة الشعبية للدراسات العليا] بإشراف : عز الدين المناصرة. [نصوص أيت منقلات ترجمها عن الأمازيغية إلى العامية الجزائرية ولد فله عبد النور وقام بتفصيحها المناصرة].

66. **محمد الشامي** : الإبداع الأدبي وإشكالية التعدد اللغوي في المغرب – مجلة آفاق – اتحاد كتاب المغرب – عدد 1 لسنة 1991.

67. **الحسين مجاهد** : لمحة عن الأدب الأمازيغي في المغرب – مجلة آفاق – عدد 1 لسنة 1991.

68. **أحمد عصيد** : هاجس التحديث في النص الشعري الأمازيغي المكتوب – مجلة آفاق – عدد 1 لسنة 1991.

69. **محمد مستاوي** : الشعر الأمازيغي – قضايا واهتمامات – مجلة آفاق – عدد 1 لسنة 1991، المغرب.

70. **لويزا بندو** : الشاعر سي محنْد أو محنْد – صحيفة التجمع الجزائرية الناطقة بلسان حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية [R.C.D] – الجزائر، العدد صفر سنة 1989.

فهرست

المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب

■ (إذا سألتم سكان البوادي عندنا في نوميديا (الجزائر الشرقية) قالوا نحن كنعانيون).

القديس الجزائري أوغطسين (توفي سنة 435م)

■ البربر هم أحفاد مازيغ بن كنعان قدموا من فلسطين.

ابن خلدون

■ البربر هم الجالية الكنعانية التي هاجرت من فلسطين إلى مصر بعد هزيمة جالوت الفلسطيني. ثم واصلت الهجرة إلى شمال افريقيا سنة 1059ق.م وسنة 1055ق.م.

يوسف بن عبد البر القرطبي

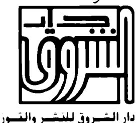
■ البربر أمة عظيمة انتقلت من جنوب فلسطين إلى افريقيا في فترات مختلفة ودفعات متفرقة ابتداء من سنة 3000 ق.م. وهناك جذمان عظيمان يكونان كلا لفروع البربرية هما : قبائل مادغيس (الأبتر) وقبائل البرانس وكلاهما أخوان لأب واحد هو (برمن بن مازيغ بن كنعان).

الشيخ عبد الرحمن الجيلالي

■ حكم الهكسوس الكنعانيون مصر خمسة قرون. وكانت عاصمتهم (هور - أور) في شرق الدلتا. وبعد سقوط عاصمتهم غادروا مصر إلى بلاد الشام حيث بنوا (أور سالم - القدس). هاجر قسم كبير منهم (قبيلة الهوارة الهكسوسية الكنعانية) إلى شمال أفريقيا. وبقي قسم منهم في مصر بعد معاهدة صلح مع فرعون مصر (أحمس).

د. علي فهمي خشيم

الناشر



دار الشروق للنشر والتوزيع

دار الشروق للنشر والتوزيع

ISBN 9957 00 036 5 (ردمك)